

جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا

الإنداز في القرآن الكريم

إعداد

أدهم عمر عباس خرشه

إشراف

د. خضر سوندك

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في قسم أصول الدين بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين.

2012

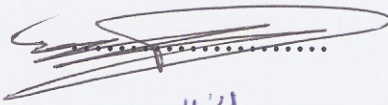
الإتذار في القرآن الكريم

إعداد

أدهم عمر عباس خريشه

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ: 2012/10/18م وأجيزت.

التوقيع



أدهم عمر عباس خريشه



أعضاء لجنة المناقشة

- د خضر سوندك

مشرفاً ورئيساً

- د محسن الخالدي

ممتحناً داخلياً

- د إسماعيل نواهضة

ممتحناً خارجياً

الإهداء

إلى سيد المرسلين، وإمام المُنذرين، ومن أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور محمد صلى الله عليه وسلم.

إلى نبع الحنان والمحبة.....(أبي وأمي) الحبيين.

إلى زوجتي المخلصة الوفية التي شاركتني هموم حياتي وصبرت عليّ وكانت لي عوناً في كتابتي.

إلى إخوتي وأخواتي الأحباب ورياحين قلبي.

إلى كل من كان له فضل عليّ من مشرفين ومدرسين ومعلمين.

إلى إخواني الأسرى والمعتقلين.

إلى إخواني طلاب كلية الشريعة عامة وطلبة كلية الدراسات العليا خاصة.

إلى كل هؤلاء أهدي هذا البحث المتواضع.

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين ، حمداً كثيراً مباركاً فيه، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه أن منّ عليّ بكتابة هذه الرسالة وإتمامها، ومن باب رد الفضل لأهل الفضل، وانطلاقاً من قوله تعالى " وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ " ⁽¹⁾، وإقتداءً بسنة النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال: "من لا يشكر الناس لا يشكر الله" ⁽²⁾، فإنني أتوجه بالشكر الجزيل والامتنان العظيم لفضيلة الدكتور خضر سوندك الذي تكرم عليّ بقبول الإشراف على هذه الرسالة، فقدم لي النصح والتوجيه ورعاني أحسن رعاية أسأل الله العظيم أن يبارك في علمه وفي عمره فجزاه الله عني خير الجزاء .

كما وأتقدم بالشكر والتقدير لفضيلة الدكتور إسماعيل نواهضة لكونه ممتحناً ومناقشاً خارجياً، وأتقدم بالشكر الجزيل والامتنان العظيم لفضيلة الدكتور محسن الخالدي لكونه ممتحناً ومناقشاً داخلياً.

كما أخص بالشكر والتقدير فضيلة الشيخ إبراهيم داوود الذي لم يبخل عليّ بالنصح والتوجيه سواء عند إعداد خطة الدراسة أو اختيار عنوانها .

كما وأشكر كل من ساندني في كتابة رسالتي وكان حلقة وصل بيني وبين فضيلة الدكتور خضر سوندك، وأخص بالذكر الأخوة: خالد القدومي ومراد القدومي ومعاذ بري جزاهم الله كل خير .

¹ سورة النمل:40.

² الترمذي محمد بن عيسى: الجامع الصحيح (سنن الترمذي). 5مج. تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين. بدون ط. بيروت: دار إحياء التراث العربي. كتاب البر والصلة باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك. الحديث (1954). (339/4). قال عنه الترمذي: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ

إقرار

أنا الموقع/ة أدناه، مقدم/ة الرسالة التي تحمل العنوان: **الإنداز في القرآن الكريم**

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة، إنما هي نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وإنّ هذه الرسالة ككل، أو أيّ جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أيّة درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أيّة مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

Student's Name:

اسم الطالب:

Signature:

التوقيع:

Date:

التاريخ:

فهرس المحتويات

الصفحة	المحتوى
ب	قرار لجنة المناقشة
ت	الإهداء
ث	الشكر والتقدير
ج	إقرار
ح	فهرس المحتويات
ذ	الملخص
1	مقدمة
2	أهمية الموضوع ودواعي الكتابة فيه
3	مشكلة الدراسة
3	الدراسات السابقة
3	منهجية الدراسة
4	فصول البحث
7	الفصل الأول: الإنذار في اللغة والاصطلاح والسياق القرآني
8	المبحث الأول: الإنذار في اللغة
11	المبحث الثاني: الإنذار في الاصطلاح
12	المبحث الثالث: الإنذار في السياق القرآني
14	الفصل الثاني: حكمة ورود الإنذار في القرآن الكريم
15	المبحث الأول: الهداية
19	المبحث الثاني: التبليغ وإقامة الحجة على الناس
22	المبحث الثالث: التذكير
24	المبحث الرابع: التخويف والتهديد والوعيد
24	المطلب الأول: الإنذار والتخويف من خزي الدنيا
28	المطلب الثاني: الإنذار من حياة البرزخ والتخويف من عذاب القبر
31	المطلب الثالث: الإنذار من يوم القيامة
35	المطلب الرابع: الإنذار من جهنم

الصفحة	المحتوى
38	الفصل الثالث: المنذرون في القرآن الكريم
39	المبحث الأول: الله جل جلاله
43	المبحث الثاني: الرسل الكرام عليهم السلام
48	المبحث الثالث: القرآن الكريم
50	المبحث الرابع: المؤمنون
52	المبحث الخامس: الجن
56	الفصل الرابع: المنذرون في القرآن الكريم
57	المبحث الأول: المؤمنون
58	المطلب الأول: إنذار من كان له قلب حي
59	المطلب الثاني: إنذار المؤمنين الذين يخشون ربهم بالغيب
60	المطلب الثالث: إنذار الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم
61	المطلب الرابع: إنذار المؤمنين المقيمي الصلاة
62	المطلب الخامس: إنذار المتبعين للذكر
63	المبحث الثاني: الأقارب (العشيرة الأقربون)
66	المبحث الثالث: أم القرى (أهل مكة)
70	المبحث الرابع: الظالمون
72	المبحث الخامس: أهل الكتاب (اليهود والنصارى)
74	المبحث السادس: الناس جميعاً
76	المبحث السابع: الجن
87	الفصل الخامس: موقف الكفار والمعاندين من النذر
79	المبحث الأول: الاستكبار
84	المبحث الثاني: التشبث بملة الآباء والأجداد
88	المبحث الثالث: التكذيب بالنذر
95	المبحث الرابع: الإعراض
99	المبحث الخامس: الإصرار والعناد في الكفر
102	المبحث السادس: اتهام النذر بالسحر والجنون

الصفحة	المحتوى
106	الفصل السادس: الإنذار في دعوة أولى العزم من الرسل عليهم السلام
108	المبحث الأول: الإنذار في دعوة نوح عليه السلام
111	المبحث الثاني: الإنذار في دعوة إبراهيم عليه السلام
114	المبحث الثالث: الإنذار في دعوة موسى عليه السلام
118	المبحث الرابع: الإنذار في دعوة عيسى عليه السلام
121	المبحث الخامس: الإنذار في دعوة محمد صلى الله عليه وسلم
121	النوع الأول: الإنذار الخاص
123	النوع الثاني: الإنذار العام
125	الفصل السابع: صفات المُنذِرِين وفيه أربعة مباحث
126	المبحث الأول: العلم
127	المبحث الثاني: الإخلاص
129	المبحث الثالث: الصبر
131	المبحث الرابع: الرفق واللين والرحمة بالناس
133	الخاتمة
143	المصادر والمراجع
B	الملخص باللغة الإنجليزية

الإذار في القرآن الكريم

إعداد

أدهم عمر عباس خرشه

إشراف

د. خضر سوندك

المخلص

الإذار: يعني الإبلاغ أو الإخبار أو الإعلام مع التخويف ولقد ذكر الله تعالى الإذار في القرآن الكريم عشرين ومائة مرة، وكانت أكثر تلك الآيات في السور المكية لأن في ذلك مناسبة لحال العرب في تلك الفترة، من عبادتهم للأوثان والأصنام.

وكان اهتمام القرآن الكريم بالإذار لحكم عظيمة، فقد جاء لتخويف الناس وتهديدهم من عقاب الله وسخطه، وتذكيرهم وإيقاظهم من غفلتهم وإقامة الحجة عليهم بتبليغهم دين الله وهدايتهم وإرشادهم للطريق المستقيم.

والناظر في آيات الإذار بعين التدبر والتأمل يجد أن المُنذرين في الآيات خمسة وهم: الله جل جلاله والرسول عليهم السلام الذين بُعثوا لإذار الناس والقرآن الكريم بما يحويه بين دفتيه من وصف لعذاب الله ثم المؤمنون وأخيراً الجن لا سيما أنهم مكلفون كالإنس فهم يُنذرون بني جنسهم.

وخصت آيات الإذار سبعة أصناف من المُنذرين وهم: المؤمنون، ثم الأقارب، وأهل مكة وتخصيص الآيات الظالمين بالإذار، وأه الكتاب لما هم عليه من الضلال ثم الناس جميعاً وأخيراً الجن.

كما كشفت آيات الإذار عن مواقف الأمم السابقة تجاه النذر عليهم الصلاة والسلام على مر العصور فلقد أعرضوا واستكبروا وكذبوا الرسل عليهم السلام واتهموهم بأبشع التهم وأقبحها.

ولقد كان الإذار ركناً من أركان دعوة الرسل على مر العصور، وبينت جوانب من الإذار في حياة أولي العزم من الرسل، وأشارت الدراسة إلى بعض صفات المُنذرين.

مقدمة:

الحمد لله الذي أنذر وتوعد وزجر ونهى وأمر، والصلاة والسلام على نبيِّنا محمد الذي أرسله الله بشيراً وهادياً للعالمين وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن سلك سبيلهم واهتدى بهداهم إلى يوم الدين وبعد:

فان الناظر في كتاب الله تعالى بعين التدبر والتأمل والتفكر والتبصر يجد فيه من الكنوز والعبر، والدلالات والفكر، ما تهديه في حياة الابتلاء التي يعيشها، ودنيا الغربة التي سيفارقها، ولا أدل على ذلك من التأمل في المصطلحات القرآنية ذات الدلالات العميقة، والمعاني الغزيرة والمواضيع التي شملتها من خلال الآيات والسور ومن هذه المواضيع الإنذار .

هذا الموضوع الذي أحدث في النفس هزة وفي القلب رعشة وفي المنهج سلوكاً وفي التربية نبزاً ولذا ذكر القرآن الكريم مادة (نذر) ومشتقاتها عشرين ومائة مرة موزعة على السور المكية والمدنية وفي سياقات متنوعة ومشاهد مختلفة علماً أن أكثر السور التي عرضت له كانت في العهد المكي، وذلك تهديداً ووعيداً للطغاة المجرمين الذين وقفوا لدعوة الإسلام بالمرصاد ولهداة الصراط المستقيم بالصد والعدوان .

لقد جاء الإنذار في القرآن الكريم من أعظم وسائل الدعوة والتربية التي استخدمها حملة رسالات السماء عبر التاريخ والأزمان وذلك لتهدئ النفوس العصية وتزلزل القلوب الصدئة وتفتح أبواباً لنسيم الهداية وتفرش آمالاً برياحين جنات الخلود في الآخرة .

واليوم إذ يعيش المسلمون غربة الإسلام الآخرة كان لابد من التأسى بأساليب دعوة الأنبياء وخاصة في مجال الإنذار لترهيب الطغاة الجبارين والمستكبرين الأفّاكين ودعاة العلمانية والتغريب الذين يقفون معاندين في وجه تيارات الإصلاح والهداية.

وقد تمثل دوري في هذه الدراسة في جمع كل الآيات التي فيها مادة (نذر) ومشتقاتها ثم النظر فيها بعين التبصر والتدبر والتأمل ثم استخراج ما ترشد إليه من حكم وفوائد وأساليب دعوية.

أهمية الموضوع ودواعي الكتابة فيه.

تكتسب هذه الدراسة أهميتها من طبيعة الموضوع الذي تعالجه ويمكن إجمال أهمية الدراسة ودواعي الكتابة فيه في الآتي:

- 1- أنها جاءت خدمة لكتاب الله تعالى فهي دراسة قرآنية بحثه تم جني ثمارها من كتاب الله كمصدر رئيس وأساس ثم مقتطفات من الكتب والمراجع الأخرى ذات الصلة.
- 2- أن هذه الدراسة جاءت لتعالج بعض الجوانب المهمة في حياة المرابين والدعاة والمصلحين وخاصة في أساليب التربية ومناهج الدعوة في حياتهم.
- 3- ارتباط الإنذار في منهجية دعوة الأنبياء (عليهم السلام) وهم القدوات والمصابيح التي يجب على الأمة أن تفتدي بهم وتنهج نهجهم .
- 4- معرفة الوسائل والعوامل التي يمكن أن يتوصل من خلالها المسلم المعاصر ليحذر من تهديد الله تعالى وإنذاره.

مشكلة الدراسة:

تحاول هذه الدراسة الإجابة على الأسئلة التالية:

- 1- ما مدى اهتمام القرآن الكريم بهذا الجانب خاصة في العهد المكي ؟
- 2- كيف تطرق القرآن الكريم لموضوع الإنذار من جوانبه وزواياه المتعددة ؟
- 3- ما هي الدلالات والفوائد والحكم من ورود الإنذار في القرآن الكريم ؟
- 4- كيف استخدم الأنبياء عليهم السلام أسلوب الإنذار في دعوتهم لأقوامهم ؟

الدراسات السابقة:

- رسالة ماجستير بعنوان " مفهوم التبشير والإنذار في القرآن الكريم " للباحث: بلال تميز. تخصص تفسير موضوعي جامعة دو كوز أيلو. تركيا. 1990م . ولم أطلع من الدراسة إلا على اسمها والباحث لم يفرد الإنذار بالبحث.
- رسالة ماجستير بعنوان: "النذر في القرآن الكريم" دراسة قرآنية موضوعية، للباحث إبراهيم محمد ماضي. الجامعة الإسلامية، غزة. 2007م.
- رسالة جامعية بعنوان "الإنذار الإلهي في القرآن الكريم من خلال بعض آياته دراسة موضوعية، للباحث مثنى الزبيدي، رسالة مضافة على النت.
- أسأل الله العلي العظيم أن يجعل هذا العمل من أجله وابتغاء مرضاته وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم وأن يتقل به ميزان حسناتي.

منهجية الدراسة:

- اتبعت في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي أولاً وذلك من خلال جمع الآيات القرآنية التي تتحدث عن الإنذار ثم استعنت بالمنهج التحليلي في تحليل ودراسة هذه الآيات وفق منهجية البحث في التفسير الموضوعي وقد اتبعت في ذلك الخطوات التالية:
- 1 - جمع الآيات التي تتحدث عن الإنذار وعزوها إلى سورها.
 - 2 - استخراج الحكم والفوائد من هذه الآيات، ومحاولة ربطها بالواقع الذي نعيش حتى لا تبقى هذه الدراسة نظرية جامدة لا حياة فيها.
 - 3 - التعرف على أصناف المُنذرين والمُنذَرين في القرآن الكريم ومدى الاستفادة منهم.
 - 4 - جمع شتات هذا الموضوع المتفرق في كتب التفسير واللغة، وصياغته صياغة متسلسلة متكاملة في فصول ومباحث ومطالب وحسب أصول البحث العلمي.

5- الرجوع إلى المصادر الرئيسية المعتمدة في هذا الموضوع وفي مقدمتها كتب التفسير القديمة منها والحديثة وقواميس اللغة .

6- إتباع الأسلوب العلمي بتوثيق المعلومات بشكل علمي دقيق، وعزو الأقوال إلى أصحابها.

7- وضع علامات الترقيم والتشكيل والتصنيف كما يقتضي البحث العلمي، لتخرج الدراسة بصورة جيدة وسهلة المنال.

وقد أسميت هذه الدراسة (الإنذار في القرآن الكريم).

وقد جاء هذا البحث في سبعة فصول بمباحثها ومطالبها وهي:

الفصل الأول: الإنذار في اللغة والاصطلاح والسياق القرآني. وفيه ثلاثة مباحث: -

المبحث الأول: الإنذار في اللغة.

المبحث الثاني: الإنذار في الاصطلاح.

المبحث الثالث: الإنذار في السياق القرآني.

الفصل الثاني: حكمة ورود الإنذار في القرآن الكريم، وفيه أربعة مباحث: -

المبحث الأول: الهداية.

المبحث الثاني: التبليغ وإقامة الحجة على الناس.

المبحث الثالث: التذكير

المبحث الرابع: التخويف والتهديد والوعيد وفيه أربعة مطالب

المطلب الأول: الإنذار والتخويف من خزي الدنيا.

المطلب الثاني: الإنذار بحياة البرزخ والتخويف من عذاب القبر

المطلب الثالث: التخويف من يوم القيامة.

المطلب الرابع: التخويف بنار جهنم.

الفصل الثالث: المُنذرون في القرآن الكريم، وفيه خمسة مباحث: -

المبحث الأول: الله جل جلاله

المبحث الثاني: الرسل الكرام عليهم السلام

المبحث الثالث: القرآن الكريم

المبحث الرابع: المؤمنون

المبحث الخامس: الجن

الفصل الرابع: المُنذرون في القرآن الكريم، وفيه سبعة مباحث: -

المبحث الأول: المؤمنون، وفيه خمسة مطالب: -

المطلب الأول: إنذار من كان له قلب حي.

المطلب الثاني: إنذار المؤمنين الذين يخشون ربهم بالغيب.

المطلب الثالث: إنذار الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم.

المطلب الرابع: إنذار المؤمنين المقيمي الصلاة.

المطلب الخامس: إنذار المتبعين للذكر.

المبحث الثاني: الأقارب (العشيرة الأقربون).

المبحث الثالث: أم القرى (أهل مكة).

المبحث الرابع: الظالمون.

المبحث الخامس: أهل الكتاب (اليهود والنصارى).

المبحث السادس: الناس جميعاً.

المبحث السابع: الجن.

الفصل الخامس: موقف الكفار والمعاندين من النذر، وفيه ستة مباحث: -

المبحث الأول: التكبر والاستكبار.

المبحث الثاني: التشبث بملة الآباء والأجداد.

المبحث الثالث: التكذيب بالنذر.

المبحث الرابع: الإعراض.

المبحث الخامس: الإصرار والعناد على الكفر.

المبحث السادس: اتهام النذر بالسحر والجنون.

الفصل السادس: الإنذار في دعوة أولي العزم من الرسل وفيه خمسة مباحث: -

- المبحث الأول: الإنذار في دعوة نوح عليه السلام.
- المبحث الثاني: الإنذار في دعوة إبراهيم عليه السلام.
- المبحث الثالث: الإنذار في دعوة موسى عليه السلام.
- المبحث الرابع: الإنذار في دعوة عيسى عليه السلام.
- المبحث الخامس: الإنذار في دعوة محمد عليه السلام.
- الفصل السابع: صفات المُنذِرِين وفيه أربعة مباحث: -
- المبحث الأول: العلم.
- المبحث الثاني: الإخلاص.
- المبحث الثالث: الصبر.
- المبحث الرابع: الرفق واللين والرحمة.

والله أسأل أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم وأن يكون خدمةً لكتاب الله العظيم.

الفصل الأول

الإنداز في اللغة والاصطلاح والسياق القرآني

ويتضمن ثلاثة مباحث

الأول: الإنداز في اللغة

الثاني: الإنداز في الاصطلاح

الثالث: الإنداز في السياق القرآني

المبحث الأول: الإنذار في اللغة

مصدر قولهم أنذر ينذر، وهو مأخوذ من مادة (ن ذ ر) التي تدل على التخويف أو التخوف، كما يقول ابن فارس⁽¹⁾ "النون والذال والراء كلمة تدل على تخويف أو تخوف منه الإنذار الإبلاغ ولا يكاد يكون إلا في التخويف"⁽²⁾.

وعرّف الإنذار أيضاً أنه "إخبار فيه تخويف كما أن التبشير إخبار فيه سرور ومن ذلك قوله تعالى: (فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى)"⁽³⁾ "أي حذرتكم وخوفتكم"⁽⁴⁾.

والنذير: المنذر ويقع على كل شيء فيه إنذار إنساناً كان أو غيره قال تعالى: (إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ)"⁽⁵⁾ "⁽⁶⁾.

⁽¹⁾ هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب الرازي اللغوي؛ كان إماماً في علوم شتى، وخصوصاً اللغة فإنه أتقنها، وألف كتابه المجمل في اللغة، وهو على اختصاره جمع شيباً كثيراً، وله كتاب حلية الفقهاء، وله رسائل أنيقة، ومسائل في اللغة، توفي سنة تسعين وثلثمائة - رحمه الله تعالى - بالري، ودفن مقابل مشهد القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني. وقيل: إنه توفي في صفر سنة خمس وسبعين وثلثمائة بالمحمدية والأول أشهر.

انظر: ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد: وفيات الأعيان وأنباء أهل الزمان 7مج. تحقيق إحسان عباس. بيروت: دار صادر. (118\1-119). وانظر: الأندروي، أحمد بن محمد: طبقات المفسرين. مج 1. تحقيق سليمان بن محمد الخزي. ط 1. المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم 1997م. (ص 92).

⁽²⁾ ابن فارس أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة. 6مج. تحقيق عبد السلام محمد هارون. ط 2. بيروت: دار الجبل. 1420هـ. (414\5).

⁽³⁾ سورة الليل: 14

⁽⁴⁾ القرطبي، عبد الله بن أحمد بن أبي بكر: الجامع لأحكام القرآن. 20مج. تحقيق هشام سمير البخاري. الرياض: دار عالم الكتاب 1423 هـ. (86\20).

⁽⁵⁾ سورة الذاريات: 50

⁽⁶⁾ الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد: المفردات في غريب القرآن. 1مج. تحقيق محمد سيد كيلاني. لبنان: دار المعرفة. (487\1).

"وأصل الإنذار: الإعلام يقال: أنذرتُه أنذرتُه إنذاراً إذا أعلمته فأنا مُنذِرٌ ونذير: أي مُعلِّمٌ ومخوِّفٌ ومحدِّرٌ. ونذرتُ به إذا علمت" (1).

"والمُنذر: المُعلِّم الذي يُعرِّف القومَ بما يكون قد دَهَمَهُم من عدوٍّ أو غيره وهو المخوِّفُ أيضاً" (2).

وبهذا المعنى ورد الحديث الصحيح عن جابر بن عبد الله قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم "إذا خطب احمرَّت عيناه وعلا صوته واشتدَّ غَضَبُهُ كأنه منذرٌ جيش يقول: صَبَّحكم ومَسَأكم" (3).

ومما لا شك فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم هو المعلم والمربي والمُنذر وما كان يرفع صوته ولا يغضب، ولا يحمر وجهه إلا لأمر عظيم، وخطب جسيم فهكذا يكون الإنذار، فرفع الصوت والغضب واحمرار الوجه هي أدوات للإنذار حتى يخاف الناس، ويأخذوا الحيطة والحذر مما حذروا منه وأنذروه.

(1) ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري: **النهاية في غريب الحديث والأثر**. 5 مج. تحقيق طاهر احمد الزاوي وآخرين. بيروت: المكتبة العلمية 1399 هـ. (83\5).

(2) المرجع السابق: (83\5).

(3) مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري: **صحيح مسلم**. 4 مج. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي. كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، الحديث (867) (592\2). "ويستدل به على انه يستحب للخطيب أن يفخم أمر الخطبة، ويرفع صوته، ويجز كلامه ويكون مطابقاً للفصل الذي يتكلم فيه من ترغيب أو ترهيب، ولعل اشتداد غضبه كان عند إنذاره أمراً عظيماً، وتحديد خطباً جسيماً". النووي، بحى ابن شرف بن مري: **صحيح مسلم بشرح النووي**. 18 مج. 2. بيروت: دار إحياء التراث العربي 1392 هـ. (156\6).

ومنه الحديث "إِنَّ الْقَوْمَ نَذَرُوا بِي" (1) "نذروا: نذر القوم بفلان: إذا علموا به" (2).

"ويقال: أنذرت القوم سير العدو إليهم فنذروا أي أعلمتهم ذلك فعلموا وتحرزوا والتناذروا: أن يندر القوم بعضهم بعضاً شراً مخوفاً" (3).

ويُقال "نذيرة القوم لطليعتهم الذي يندرهم العدو" (4).

"ومن أمثال العرب: قد أعذر من أنذر (5) أي من أعلمك أنه يعاقبك على المكروه منك فيما يستقبله ثم أتيت المكروه فعاقبك فقد جعل لنفسه عذراً يكف به لائمة الناس عنه" (6).

فالإنذار هو إما الإبلاغ أو الإخبار، أو الإعلام مع التخويف، ولم أطلع على معنى آخر غير هذا الذي ذكرته، بـ تكاد تجمع كتب اللغة والمعاجم على هذا.

(1) جزء من حديث طويل خرجه الإمام البخاري، البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي: **الجامع الصحيح المختصر** (صحيح البخاري). 6مج. تحقيق د. مصطفى ديب البغا. ط3، اليمامة 1407 بن كثير، اليمامة 1407 هـ. كتاب المغازي، باب قتل أبي رافع، الحديث (3813) (1482\4).

(2) ابن الأثير، محمدبارك بن محمد الجزري: **جامع الأصول في أحاديث الرسول**. 12مج. عبد القادر الأرناؤوط. ط1. مكتبة الحلواني، مطبعة الملاح، مكتبة دار الايمان 1392هـ. (228\8).

(3) ابن منظور، محمد بن مكرم: **لسان العرب**. بيروت. بيروت. دار صادر. (201\5).

(4) الزمخشري، محمود بن عمر: **أساس البلاغة**. مج1. دار الفكر 1399 هـ. (ص626).

(5) ذكره الزمخشري بلفظ **أَعَذَرَ مَنْ أَنْذَرَ**: أي من حذرك ما يحل بك فقد بالغ في العذر **انظر**: الزمخشري، محمود ابن عمر: **المستقصى في أمثال العرب**. 2مج. ط2. بيروت: دار الكتب العلمية 1987م (240\1).

(6) ابن منظور: **لسان العرب** (201\5).

المبحث الثاني: الإنذار في الاصطلاح

قال المناوي: (1) "الإعلام بما يحذر" (2). لأنه لو لم يكن يُحذَر لا يصلح أن يكون فيه تخويف والإنذار لا يكون إلا في التخويف أو مما فيه خوف.

وعرفه أبو البقاء (3) أيضاً أنه "إبلاغ المخوف منه والتهديد والتخويف وذكر الوعيد مع الإنذار واجب لا مع التهديد" (4).

لأن التهديد يكون نهياً عن فعل معين دون ذكر العقاب المترتب على مخالفة ذلك الأمر، أما الإنذار فيكون إعلاماً وتخويفاً مع ذكر العقاب والوعيد المترتب على ذلك الإنذار.

وخلاصة الأمر ويمكن القول إنني ومن خلال البحث لم أجد فرقاً بين تعريف علماء اللغة للإنذار في اللغة أو في الاصطلاح سوى بعض التوضيحات والشروط التي وضعوها من خلال التعريف، والتي يتحقق بها الإنذار والتي يمكن أن يُسمى من خلالها الإخبار والإعلام أو الإبلاغ.

¹ هو محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، زين الدين (952 هـ - 1031 هـ) شارح الجامع الصغير، وكان زين العابدين عالماً، متعبداً ورعاً خاشعاً نشأ في حجر والده، وحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين وحفظ عدة متون وهو ابن عشر منها: الزبد لابن أرسلان، والتحفة الوردية في النحو، وكتاب الإرشاد في النحو للسعد التفتازاني وغيرها. انظر: المحبي، محمد أمين بن فضل الله بن محب الله: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر. 4 مج بيروت: دار صادر. (1932-194).

² المناوي، محمد بن عبد الرؤوف: التوقيف على مهمات التعاريف. مج 1. تحقيق د. محمد رضوان الداية. ط 1. بيروت: دار الفكر 1410 هـ. (ص 98).

³ أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء: صاحب الكليات كان من قضاة الأحناف. عاش وولي القضاء في (كفه) بتركيا، وبالقدس، وببغداد. وعاد إلى استانبول فتوفي بها، ودفن في تربة خالد. وله كتب أخرى بالتركية توفي سنة 1683 م، انظر الزركلي، خير الدين: الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين. 8 مج. ط 17. بيروت: دار العلم للملايين 2007 م. (382).

⁴ الكفوي، أيوب بن موسى: الهـ.ت معجم في المصطلحات والفروق اللغوية. مج 1. تحقيق عدنان درويش ومهـ. المصري. بيروت: مؤسسة الرسالة 1419 هـ. (ص 1083).

المبحث الثالث: الإنذار في السياق القرآني

لقد ورد لفظ مادة (ن ذ ر) ومشتقاتها التي تعني الإعلام مع التخويف (120) مرة بشكل صريح أما الآيات التي ذُكرت في القرآن الكريم والتي يفهم منها الإنذار فهي كثيرة وحتى لا يطول البحث اقتصرنا جهدي على الآيات التي ذُكر فيها الإنذار بشكل صريح وبعض الآيات التي كان لابد من ذكرها والتي يفهم منها الإنذار أيضاً، فهذا العدد من الآيات التي ذكرت لها دلالات عظيمة ولطائف عديدة سأقف معها في مواضعها بإذن الله .

فمادة (ن ذ ر) جاءت على خمسة أوجه أو على خمسة معان كما ذكرها الدامغاني⁽¹⁾.

الأول: التحذير: أنذر بمعنى حذر، كقوله سبحانه وتعالى: (أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ)⁽²⁾ يعني حذر الناس -كفار أهل مكة - بالعذاب وقوله تعالى في سورة البقرة: (وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ)⁽³⁾.

أي خوفهم أم لم تخوفهم، والتخويف والتحذير واحد " التحذير: التخويف"⁽⁴⁾.

الثاني: النذير الخبر، كقوله تعالى في سورة النجم: (هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى)⁽⁵⁾ يعني هذا خبر من أخبار الأمم السالفة الخالية، كقوله تعالى في سورة التوبة: (وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ)⁽⁶⁾ أي ليخبروا.

الثالث: النذر الرسل كقوله سبحانه وتعالى: (كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ)⁽⁷⁾ يعني بالرسول.

¹ حسين بن محمد بن إبراهيم، أبو عبد الله الدامغاني: فقيه حنفي، نسبته إلى دامغان (بين الري ونيسابور) له كتب، منها (الوجوه والنظائر) في علوم القرآن، مبوب على حروف المعجم، و (سوق العروس وأنس النفوس) توفي سنة 478 هـ .انظر: الزركلي، الأعلام (2542).

² سورة يونس: 2

³ سورة البقرة: 6

⁴ ابن منظور: لسان العرب (1764).

⁵ سورة النجم: 56

⁶ سورة التوبة: 122

⁷ سورة القمر: 23

ويمكن أن يكون المقصود بالندُر؛ الآيات التي جاء بها الرسل (1).

الرابع: النذير الشيب كقوله تعالى في سورة فاطر: (وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ) (2) قاله بعض المفسرين (3) لأن الشيب نذير، ولأنه يأتي في سن الاكتهال وهو علامة لمفارقة سن الصبا؛ الذي هو سن اللهو واللعب (4).

الخامس: النذر بسكون الذال بعينه قوله سبحانه وتعالى في سورة الحج: (وَلْيُؤْفُوا نُذُورَهُمْ) (5) يعني التي أوجبها على أنفسهم (6). ومع أنني لست بصدد دراسته إلا أنه لا يمكن تجاوز هذا المبحث دون الإشارة إليه ولا يمكن طي ورقة البحث في هذا المبحث دون ربط الإنذار الذي سبق بيان معناه مع النذر الذي يوجبه الإنسان على نفسه، فلا بد من رابط يجمع بينهما مع أن المعنى مختلف، فالنذر الذي يوجبه الإنسان على نفسه فيه خوف أيضاً فمن ينذر شيئاً على نفسه يخاف إذا اخلف الوفاء به (7).

وجاء الإنذار بلفظ التبشير تهكماً على الكفرة، فقال تعالى: (فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) (8)، وقال تعالى: (بَشِّرِ الْمُنافِقِينَ بِأَن لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً) (9).

¹ سورة القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (17\137).

² سورة فاطر: 37.

³ الطبري، محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل آي القرآن. 30 مج. بيروت: دار الفكر 1405 هـ. (142\22)، الشوكاني، محمد بن علي بن محمد: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير. (5 مج). بيروت: دار الفكر. (354\4). ابن الجوزي عبد الرحمن بن علي بن محمد: زاد المسير في علم التفسير. (9 مج). بيروت: المكتب الإسلامي 1404 هـ. (494\6)، وغيرهما من المفسرين. وقاله الإمام البخاري في كتاب الرقائق من صحيحه في باب من بلغ ستين سنة فقد أعذر الله إليه في العمر لقوله (أو لم نَعْمَرَكُمْ ما يَنْدَكُرُ فيه من تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ) يَعْنِي الشَّيْبَ، البخاري، صحيح البخاري (5\2359).

⁴ الشوكاني: فتح القدير (354\4).

⁵ سورة الحج: 29.

⁶ الدامغاني: إصلاح الوجوه والنظائر (452).

⁷ ابن فارس: معجم مقاييس اللغة (414\5).

⁸ سورة آل عمران: 21.

⁹ سورة النساء: 138.

الفصل الثاني

حكمة ورود الإنذار في القرآن الكريم

إن الناظر في كتاب الله، المتدبر لآياته، يرى إتقاناً عجيباً؛ يرى الإتقان العجيب من روعة في الأسلوب وجزالة في اللفظ، وتنوع في الخطاب، وتنوع في أساليب الدعوة، فالقران الكريم قائم على التبشير والإنذار؛ تبشير بما عند الله من ثواب وإحسان، وإنذار من العقاب والخذلان، لذلك فإن من قرأ كتاب الله، ووقف على آياته البيّنات؛ يلاحظ أنه لا تكاد تخلو سورة من سورته من الإنذار، وما ذلك إلاّ لأمر بالغة الأهمية قامت عليه الدعوة، لا بد للمسلم أن يقف مع نفسه وقفة جادة، وقفة تأمل وتدبر وخوف ومراجعة للنفس، حتى يكون على علم ودراية بأهميتها، لذلك كان لا بد من بيان الحكمة من ذلك، من خلال تدبر آيات الله، والغوص في معانيها، حتى تكون عبرة وعظة لكل حي، وتبصرة لكل ذي لب، وقد سقت هذه الحِكَم من خلال المباحث الآتية:

المبحث الأول: الهداية

إن من مهام الرسل عليهم السلام هداية الناس وإرشادهم لما فيه خير لهم في الدنيا والآخرة، وبما أن الرسل عليهم السلام مُنذرين كان من مهامهم هداية الناس.

وجاءت الهداية في القرآن الكريم على أنواع مختلفة، أحصرها في ثلاثة أنواع:

النوع الأول: الهداية الغريزية وهي "إفاضة القوى الطبيعية والحيوانية التي بها يصدر عن المرء أفاعيله الطبيعية والحيوانية، والقوى المدركة، والمشاعر الظاهرة والباطنة؛ التي بها يتمكن من إقامة مصالحه المعاشية" (1)، ومنه قوله تعالى على موسى عليه السلام: (قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى) (2) وهذه الهداية طبيعية التي جعلها الله سبحانه من طبع الإنسان وهي عامة لكل البشر.

النوع الثاني: هداية التوفيق والإلهام: وهو "نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل والصلاح والفساد، وإليه أشار تعالى حيث قال: (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) (3) أي طريق الخير والشر وقا :

(1) أبو السعود محمد بن محمد العمادي: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم. 9مج. بدون ط. بيروت: دار إحياء التراث العربي. (171).

(2) سورة طه: 50.

(3) سورة البلد: 10.

(وَأَمَّا تَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى) (1)(2)، وهذا النوع مبتدأه من العبد نفسه فإذا أراد الهداية، وسعى من أجل تحصيلها، وسأل الله أن يهديه الطريق المستقيم استجاب الله له وألهمه إياها، إن كان مخلصاً صادقاً في دعواه، وهذه الهداية التي يتمناها المسلم بدعائه ربه في كل صلاة أن يرزقه إياها، كلما قرأ سورة الفاتحة من قوله تعالى: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) (3) فهنا يكون مبتدأ الهداية من العبد بسعيه لها، والنهاية من الله بتوفيقه للعبد وإلهامه الطريق المستقيم، قال تعالى: (وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ) (4) "وفقههم للعمل بما أمرهم به" (5).

النوع الثالث: هداية الدلالة والبيان والإرشاد: وهذا النوع هو المراد بالبحث، إذ إن هذه الهداية هي الحكمة والغاية من بعث الرسل، وإنزال الكتب، فالرسل عليهم السلام الذين وصفهم الله سبحانه وتعالى بالمنذرين، هم الذين يهدون الناس بأمر الله عز وجل وبإذنه، قال تعالى: (وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا) (6) "يرشدون بأمرنا" (7)، وقال في حق نبيه (صلى الله عليه وسلم) (وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (8) أي "تدعو وترشد إلى دين قويم لا اعوجاج فيه" (9).

¹ سورة فصلت: 17.

² البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي). 5م.ج. بدون ط. بيروت: دار الفكر. (70\1).

³ سورة الفاتحة: 6-7.

⁴ سورة محمد: 17.

⁵ البغوي الحسين بن مسعود: معالم التنزيل. 8م.ج. ط4. حقه وخرج أحاديثه محمد عبد الله والنمر وآخريين. الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع 1417 هـ. (283\7).

⁶ سورة الأنبياء: 73.

⁷ السمعاني منصور بن محمد بن عبد الجبار: تفسير القرآن. 6م.ج. ط1. تحقيق: ياسر بن إبراهيم وآخرون. الرياض: الرياض 1418 هـ. (392\3).

⁸ سورة الشورى: 52.

⁹ انظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (60\16).

فإنه سبحانه وتعالى ببعثه الرسل عليهم السلام، وإنزاله الكتب أقام الحجة على الخلق؛ فهداهم، وبين لهم الطريق الواضحة التي لا تلتبس على كل ذي لب وعقل، فبذلك لا يمكن أن يتصور عاقل أن هناك طريقاً للهداية غير ما جاء به المنذرون عليهم السلام، وبينوه مما أنزل الله عليهم من الكتب السماوية، فهداية الناس إلى الله عز وجل، وتحقيق العبودية في الأرض هي مهمة الرسل، والهدف والغاية من بعثهم، قال تعالى: (يُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ) (1) قال الرازي "وتقرير هذا الجواب أنه تعالى يُنزل الملائكة على من يشاء من عبده، ويأمر ذلك العبد بأن يبلغ إلى سائر الخلق؛ أن إله العالم واحد، كلفهم بمعرفة التوحيد والعبادة، وبين أنهم إن فعلوا ذلك فازوا بخيري الدنيا والآخرة، وإن تمردوا وقعوا في شر الدنيا والآخرة، فبهذا الطريق صار مخصوصاً بهذه المعارف من دون سائر الخلق" (2).

فالرسل الكرام -عليهم السلام- كانوا حريصين على هداية أقوامهم إلى الله، وكانوا يلاقون الأذى والمشقة من أجل تحقيق العبودية وهداية الناس إلى الله، فجاءت آيات كثيرة تبين ذلك منها قوله تعالى: (فَقِرُوا إِلَى اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنَّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ) (3).

فهذا النداء نداء المشفق، الذي يعلم أين يكمن الخير، فجاء هذا النداء مكرراً في الآية لحكمة عظيمة، ألا وهي هداية الناس إلى الطريق المستقيم؛ هداية الناس إلى عبادة الله، فهاتين الآيتين جاءتا كما ذكر ابن عادل "إتماماً للتوحيد، لأن التوحيد يُباين التعطيل والتشريك، لأن المُعطل يقول: لا إله أصلاً والمشرك يقول بوجود إله آخر، والموحد يقول: قول الاثنين باطل لأن نفي الواحد باطل والقول بالاثنتين باطل، فلما قال تعالى: (فَقِرُوا إِلَى اللَّهِ) أثبت وجود الله، فلما

(1) سورة النحل: 2.

(2) الرازي، فخر الدين محمد بن عمر: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب. 32 مج. بيروت: دار الكتب العلمية 1421 هـ (17419).

(3) سورة الذاريات: 50-51.

قال: وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ نَفَى الْأَكْثَرَ مِنْ وَاحِدٍ فَصَحَّ الْقَوْلُ بِالتَّوْحِيدِ بِالْآيَتَيْنِ وَلِهَذَا قَالَ
مرتين: (إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ) أَي فِي الْمَقَامِينَ وَالْمَوْضِعِينَ⁽¹⁾.

وأخيراً أقول: هكذا بانّت الحكمة والغاية والغرض من بعثة الرسل المُنذِرِينَ (عليهم السلام)، وهي
هداية الناس إلى خالقهم ببيان الطريق السوي، وحث الناس على عبادة الله وحده، وتحذيرهم من
الإلحاد، أو الشرك به، فمن اهتدى فله الهدى من الله، ومن أعرض واستكبر فله الضلال.

⁽¹⁾ ابن عادل عمر بن علي: اللباب في علوم الكتاب. 20 مج. تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ
علي محمد معوض. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية 1419هـ. (18\103).

المبحث الثاني: التبليغ وإقامة الحجّة على الناس

إن من رحمة الله سبحانه وتعالى بعباده؛ بعثه لهم الرسل عليهم السلام، وإنزال الكتب؛ بعث الرسل ليكونوا مبشرين ومنذرين، وليبينوا للناس ما أنزل إليهم من ربهم، حتى يكونوا على علم ودراية بالمعروف الذي لا بد لهم أن يتبعوه وبالمنكر الذي لا بد لهم أن يجتنبوه ويحذروا منه، فلكي يُنذَر الناس لا بد أن تُبين لهم الشرائع والتكاليف؛ فجاء بيان مهمة الأنبياء عليهم السلام؛ أنهم مُبلِغون، ومُنذرون عن الله عز وجل، قال تعالى مخاطباً نبيه -صلى الله عليه وسلم- في سورة الحجر: (وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ)⁽¹⁾.

قال الإمام الرازي عند تفسيره للآية: "فيدخل تحت كونه نذيراً، كونه مبلغاً لجميع التكاليف، لأن كل ما كان واجباً ترتب على تركه عقاب، وكل ما كان حراماً ترتب على فعله عقاب، فكان الإخبار بحصول هذا العقاب داخلاً تحت لفظ النذير، ويدخل تحته أيضاً كونه شارحاً لمراتب الثواب والعقاب والجنة والنار، ثم أردفه بكونه مبيناً، ومعناه كونه آتياً في كل ذلك بالبيانات الشافية والبيانات الوافية"⁽²⁾.

لذلك فإن الله سبحانه وتعالى أمر رسله بإبلاغ الرسالات السماوية للناس، وإنذارهم بالعقاب لإقامة الحجّة على الناس قال تعالى: (رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا)⁽³⁾.

يقول الشيخ السمرقندي رحمه الله - معقّباً على الآية: "كي لا يقولوا يوم القيامة إنك لم ترسل إلينا رسولاً، ولو أن الله تعالى لم يرسل رسولاً كان ذلك عدلاً منه إذا أعطى كل واحد من خلقه من العقل ما يعرفه، ولكن أرسل تفضلاً منه، ولكي يكون زيادة في الحجّة عليهم"⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ سورة الحجر: 89.

⁽²⁾ الرازي: التفسير الكبير (167\19).

⁽³⁾ سورة النساء: 165.

⁽⁴⁾ السمرقندي نصر بن محمد بن أحمد: بحر العلوم - 3 مج. بدون ط. تحقيق: د. محمود مطرجي. بيروت: دار الفكر (383\1).

فجاء تصوير القرآن لذلك الموقف الذي يخاطب به الله سبحانه وتعالى الإنس والجن مقيماً عليهم الحجة، قال تعالى: (يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ)⁽¹⁾. قال ابن كثير⁽²⁾ "وهذا أيضاً مما يُقرع الله به كافري الجن والإنس يوم القيامة حيث يسألهم، وهو أعلم هل بلغتهم الرسل رسالاته، وهذا استفهام تقرير"⁽³⁾.

فهذه "الآية من بقية ما يذكره الله تعالى في توبيخ الكفار يوم القيامة، وبين تعالى أنه لا يكون لهم إلى الجحود سبيل، فيشهدون على أنفسهم بأنهم كانوا كافرين، وأنهم لم يعذبوا إلا بالحجة"⁽⁴⁾. فالهدف من التبليغ؛ هو إقامة الحجة لله على عباده، واضحة كاملة جلية؛ حتى لا يقولوا يوم القيامة محتجين على الله تعالى، لم يُبلغنا ذلك نبي ولم نعرف ذلك وكنا عنه غافلين فإقامة الحجة في الدين من القواعد الثابتة في عمل الأنبياء عليهم السلام.

الآية الأخرى قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ)⁽⁵⁾.

فجاء هذا التقرير واضحاً جلياً؛ حيث إن الله تعالى لا يُعذب حتى يُقيم الحجة، قال تعالى: (وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ذَكَرُوا وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ)⁽⁶⁾، فالله سبحانه وتعالى " يُخبر

⁽¹⁾ سورة الأنعام:130.

⁽²⁾ هو إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن درع القرشي البصري ثم الدمشقي، أبو الفداء، عماد الدين: حافظ مؤرخ فقيه. ولد في قرية من أعمال بصرى الشام، من كتبه البداية والنهاية تفسير القرآن الكريم ولد سنة 701هـ توفي سنة 774هـ انظر: الزركلي: الأعلام (320\1).

⁽³⁾ ابن كثير، إسماعيل بن عمر: تفسير القرآن العظيم. 8 جزء. ط2. تحقيق: سامي بن محمد سلامة. الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع 1420هـ (340\3).

⁽⁴⁾ الرازي: التفسير الكبير (159\13).

⁽⁵⁾ سورة المائدة:67.

⁽⁶⁾ سورة الشعراء: 208-209.

عن كمال عدله، في إهلاك المكذبين، وأنه ما أوقع بقرية، هلاكاً وعذاباً، إلا بعد أن يعذر إليهم، ويبعث فيهم النذر بالآيات البينات، فيدعونهم إلى الهدى، وينهونهم عن الردى، ويذكرونهم بآيات الله، وينبهونهم على أيامه في نعمه ونعمه، نكرى لهم وإقامة حجة عليهم، وما كنا ظالمين، فنهلك القرى، قبل أن ننذرهم، ونأخذهم، وهم غافلون عن النذر" (1).

فالدعوة إلى الله، وتبليغ هذا الدين ورثها السلف الصالح من الصحابة والتابعين عن خاتم الأنبياء والمرسلين وقاموا بها على الوجه المطلوب ففتحوا البلاد ونشروا هذا الدين في مشارق الأرض ومغاربها فأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وأقاموا الحجّة على الناس، ولقد صبروا من أجل هذه المهمة العظيمة ففارقوا الأهل والأحباب من أجل نشر هذا الدين، قال تعالى: (الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا) (2) فحري بنا اليوم، الإقتداء بهم والسير على خطاهم في تبليغ دين الله تعالى.

(1) (السعدي، عبدالرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. 1مج. تحقيق ابن عثيمين. بدون ط. بيروت: مؤسسة الرسالة 1421هـ - 2000م (5981).

(2) سورة الأحزاب: 39

المبحث الثالث: التذكير

إن الناظر والمتدبر لآيات الإنذار، يجد أن هذه الآيات جاء أكثرها؛ لإيضاح مهمة الرسل عليهم السلام وهي الإنذار، قال تعالى: (وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا)⁽¹⁾ والحكمة من هذه المهمة العظيمة؛ هي تذكير الناس، كما ذكر ابن كثير في تفسيره حيث قال: "إن الله أنزل كتابه، وبعث رسله رحمة رحم بها العباد؛ ليتذكر ذاكر، وينتفع رجل بما سمع من كتاب الله، وهو ذكر أنزل الله فيه حلاله وحرامه"⁽²⁾ فالله سبحانه وتعالى ما أنذر الناس إلا ليذكروهم بعقابه وسخطه؛ حتى يتعظوا، فالمقصد من إنزال الآيات تذكير الناس.

قال تعالى: (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا)⁽³⁾، وقال تعالى: (وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ذَكَرَى وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ)⁽⁴⁾، قال صاحب الكشاف⁽⁵⁾ عند تفسيره لهذه الآية "أي يُنذرون لأجل التذكرة والموعظة"⁽⁶⁾.

وقال تعالى: (وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَأْتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ)⁽⁷⁾.

⁽¹⁾ سورة الكهف: 56.

⁽²⁾ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم. (272\5).

⁽³⁾ سورة الإسراء: 41.

⁽⁴⁾ سورة الشعراء: 208.

⁽⁵⁾ هو محمود بن عمر بن محمد بن عمر أبو القاسم الزمخشري الخوارزمي جار الله العلامة إمام اللغة والنحو والبيان بالاتفاق برع فيها في بلده، من مؤلفاته الكشاف، توفي ببلده سنة ثمان وثلاثين وخمسمئة. انظر: الفيروز أبادي محمد بن يعقوب: البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة. 1. مج. ط1. تحقيق محمد المصري الكويت: جمعية إحياء التراث الإسلامي 1407 هـ. (75\1).

⁽⁶⁾ الزمخشري: الكشاف (343\3).

⁽⁷⁾ سورة القصص: 46.

قال الإمام الطبري: معقباً على الآية الكريمة" يقول تعالى ذكره: ولكن أرسلناك بهذا الكتاب وهذا الدين لتندرك قوماً لم يأتهم من قبلك نذير وهم العرب الذين بُعث إليهم رسول الله ﷺ، بعثه الله إليهم رحمة لينذرهم بأسه على عبادتهم الأصنام وإشراكهم به الأوثان والأنداد"⁽¹⁾.

وقال تعالى: (وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا)⁽²⁾، فأخبر الله سبحانه وتعالى أنه أنزل القرآن عربياً، وصرّف فيه من الإنذار والوعيد لعل الناس يتقون، ويرتدعون عن المعاصي، قال الإمام الخطيب الشربيني⁽³⁾ عند تفسيره للآية "يجتنبون الشرك والمحارم فتصير التقوى لهم ملكة أو يحدث لهم ذكراً أي: عظة واعتباراً حين يسمعونها، فيثبطهم عنها، ولهذه النكتة أسند التقوى إليهم، والإحداث إلى القرآن"⁽⁴⁾.

ومع عموم الآيات التي تبين تذكير القرآن للناس بشكل عام، إلا أن القرآن ذكر صفات من تُجدي معهم تلك التذكيرة، ويتعظون بالإنذار، قال تعالى: (إِلَّا تَذَكَّرَ لِمَنْ يَخْشَى)⁽⁵⁾ "أي لمن شأنه أن يخشى الله تعالى، ويتأثر بالإنذار؛ لرقّة قلبه ولين عريكته، أو لمن علم الله تعالى أنه يخشى بالتخويف"⁽⁶⁾.

وقال تعالى: (نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ)⁽⁷⁾. فخص الله سبحانه الذين يخافون من يوم الوعيد بالاستفادة من التذكير، لذلك أكد

⁽¹⁾ الطبري: جامع البيان (82\20).

⁽²⁾ سورة طه: 113.

⁽³⁾ هو محمد بن أحمد الشربيني، شمس الدين: فقيه شافعي، مفسر من أهل القاهرة له تصانيف، منها السراج المنير الإقناع في حل ألفاظ توفي 977هـ. انظر: الزركلي: الأعلام (6\6).

⁽⁴⁾ الشربيني، محمد بن أحمد: السراج المنير. 4مج. بدون ط. بيروت: دار الكتب العلمية. (535\2).

⁽⁵⁾ سورة طه: 3.

⁽⁶⁾ الألوسي شهاب الدين السيد محمود: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. 30مج. بدون ط. بيروت: دار إحياء التراث العربي. (150\16).

⁽⁷⁾ سورة ق: 45.

القرآن على أن التذكير لا يجدي نفعاً مع كل الناس، فمن الناس من لا يجدي معهم التذكير، قال تعالى: (فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى * سَيَذَكِّرْ مَنْ يَخْشَى * وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى * الَّذِي يَصَلَى النَّارَ الْكُبْرَى)(1) "وتقييد التذكير لما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طالما كان يُذَكِّرُهُمْ ويستفرغ جهده في وَعَظِهِمْ، حرصاً على إيمانهم، فما كان يزيد ذلك بعضهم إلا نفوراً فأمر عليه السلام أن يخص الذكر بمظان النفع في الجملة بأن يكون مَنْ يُذَكِّرُهُ ممن يُرْجَى منه التذكُّر ولا يُتَعَبُ نفسه في تذكير مَنْ لا ينفعه ولا يزيده إلا عتواً ونفوراً ممن طَبَعَ اللهُ على قلبه"(2).

وخلاصة القول إن الله سبحانه وتعالى عندما أمر الرسل، كلفهم بإنذار الناس لحكمة عظيمة؛ ألا وهي تذكيرهم بعقاب الله ووعيده، فمن الناس من انتفع بهذه الذكري، ومن الناس من لم ينتفع؛ فحق عليه العذاب.

لذلك إن المتدبر لكتاب الله، والناظر في القصص التي قصها الله سبحانه وتعالى علينا في كتابه العزيز، ما هي إلا تذكير للناس بعقاب هذه الأقوام التي حل بهم العذاب لعدم انتفاعهم بالآيات والمواعظ والتذكير، فالخطاب موجه لكل من يتكبر ويُعرض عن الذكري والانتفاع بها فكل من سلك طريق الإعراض والإفساد سيحل به ما حل بالأمم السابقة لأن سنة الله لا تتغير ولا تتبدل، قال تعالى في سورة الفجر: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ * وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ * وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ * الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْبِلَادِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ)(3).

(1) سورة الأعلى: 8-9-10-11.

(2) ابن عجيبة أحمد بن محمد بن المهدي: البحر المديد. 8م.ج.ط.2. بيروت: دار الكتب العلمية 1423 هـ. (2878).

(3) سورة الفجر: 6-14.

المبحث الرابع: التخويف والتهديد والوعيد

لقد جاء الإنذار في القرآن الكريم كوسيلة من أعظم وسائل الدعوة والتربية التي استخدمها حملة رسالات السماء عبر التاريخ، وذلك لتهز النفوس العصية، وتزلزل القلوب الصدئة، فالإنذار لا يُمكن أن ينفك عن التخويف والتهديد والوعيد، والمستقرى لآيات الإنذار يجد أن الله سبحانه وتعالى خوف عباده، وتوعدهم بالخزي بالدنيا تارة، وبالتخويف من حياة البرزخ تارة أخرى، وبالوعيد والتخويف بأهوال القيامة، مما نقشعر منه الأبدان بمجرد ذكرها، وتهتز القلوب من وصفها، وترتعد الفرائس من بيان حال أهلها، ألا وهي نار وقودها الناس والحجارة، وقد جاء هذا المبحث في عدة مطالب: -

المطلب الأول: الإنذار والتخويف من خزي الدنيا

توعد الله سبحانه وتعالى أصنافاً من الناس بعقاب في الدنيا قبل الآخرة، وأنذرهم من مغبة ظلمهم واستكبارهم، فتوعد الله سبحانه وتعالى من يمنعون المؤمنين من مساجد الله، وأداء الصلاة فيها، فقال تعالى: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ)⁽¹⁾.

فهؤلاء الذين يمنعون المؤمنين من مساجد الله، ويسعون في خرابها، توعدهم الله بالخزي في الحياة الدنيا، والعذاب العظيم في الآخرة، وقد تناول تفسير الآية مفسرون كثيرون فقال الزمخشري: "وهو حكم عام لجنس مساجد الله، وإن مانعها من ذكر الله مفرط في الظلم، والسبب فيه أن النصارى كانوا يطرحون في بيت المقدس الأذى، ويمنعون الناس أن يصلوا فيه، وإن الروم غزوا أهله فخرّبوه، وأحرقوا التوراة، وقتلوا وسبوا... فإن قلت: فكيف قيل مساجد الله وإنما وقع المنع والتخريب على مسجد واحد هو بيت المقدس أو المسجد الحرام قلت: لا بأس

⁽¹⁾ سورة البقرة: 114

أن يجيء الحكم عاماً وإن كان السبب خاصاً؛ كما تقول لمن أدى صالحاً واحداً ومن اظلم ممن أدى الصالحين"⁽¹⁾.

وقال مجاهد: "النصارى كانوا يطرحون الأذى في بيت المقدس، ويمنعون الناس أن يصلوا فيه"⁽²⁾.

قال الصنعاني: "هو بختنصر"⁽³⁾، وأصحابه خربوا بيت المقدس وأعانتهم على ذلك النصارى"⁽⁴⁾.

وقد ذكر الطبري قولاً بأن المقصود بالآية المشركون الذين منعوا رسول الله من دخول مكة عام الحديبية⁽⁵⁾.

وأخيراً لقد رجح الطبري أن المقصود بالآية هم النصارى، والمسجد هو المسجد الأقصى، قال: "والدليل على صحة ما قلنا في ذلك قيام الحجة بأن لا قو في معنى هذه الآية إلا أحد الأقوال الثلاثة التي ذكرناها، وأن لا مسجد عنى الله عز وجل بقوله وسعى في خرابها إلا أحد المسجدين إما مسجد بيت المقدس، وإما المسجد الحرام، وإذ كان ذلك كذلك وكان معلوماً أن مشركي قريش لم يسعوا قط في تخريب المسجد الحرام، وإن كانوا قد منعوا في بعض الأوقات رسول الله ﷺ وأصحابه من الصلاة فيه، صح وثبت أن الذين وصفهم الله عز وجل بالسعي في خراب مساجده غير الذين وصفهم الله بعمارته، إذ كان مشركو قريش بنو المسجد الحرام في الجاهلية، وبعمارته كان افتخارهم، وإن كان بعض أفعالهم فيه كان منهم على غير الوجه الذي

⁽¹⁾ انظر: الزمخشري محمود بن عمر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. 4. مج. بدون ط. تحقيق: عبد الرزاق المهدي. بيروت: دار إحياء التراث العربي. (1\205).

⁽²⁾ مجاهد بن جبر المخزومي التابعي أبو الحجاج: تفسير مجاهد (2 مج) بدون ط. تحقيق: عبدالرحمن الطاهر محمد السورتي. بيروت: المنشورات العلمية. (1\86).

⁽³⁾ هو نبوخذ نصر ملك من ملوك بابل غزا بيت المقدس وخربها، انظر: الدكتور جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. 20 مج. ط4. بيروت: دار الساقي. 1422هـ. (1\348-349).

⁽⁴⁾ الصنعاني عبد الرزاق بن همام: تفسير القرآن (3 مج). ط1. تحقيق: د. مصطفى مسلم محمد. الرياض: مكتبة الرشد. 1410هـ. (1\56).

⁽⁵⁾ انظر: الطبري: جامع البيان (1\498-499).

يرضاه الله منهم وأخرى أن الآية التي قبل قوله ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه مضت بالخبر عن اليهود والنصارى، ودم أفعالهم، والتي بعدها نبهت بدم النصارى والخبر عن افتراءهم على ربهم، ولم يجر لقريش ولا لمشركي العرب ذكر ولا للمسجد الحرام قبلها فيوجه الخبر بقول الله عز وجل ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه إليهم وإلى المسجد الحرام، وإذ كان ذلك كذلك، فالذي هو أولى بالآية أن يوجه تأويلها إليه هو ما كان نظير قصة الآية قبلها، والآية بعدها، إذ كان خبرها لخبرها نظيراً وشكلاً إلا أن تقوم حجة يجب التسليم لها بخلاف ذلك، وإن اتفقت قصصها فاشتبهت⁽¹⁾.

وأياً كان المقصود بالآية، فالمعنى عام في كل من يمنع المؤمنين من إعمار مساجد الله ويسعى في خرابها، فمن يمنع حلقات التحفيظ أن تقام بالمساجد، ويحارب المؤمنين الصادقين الذين يعمرون مساجد الله، ومن يتجسس على المصلين، هؤلاء عليهم الحذر من عقاب الله في الدنيا والآخرة، وهذا التهديد والوعيد سار إلى يوم القيامة كما ذهب إليه الإمام القرطبي⁽²⁾ حيث قال " المراد: من منع من كل مسجد إلى يوم القيامة، وهو الصحيح لأن اللفظ عام ورد بصيغة الجمع فتخصيصها ببعض المساجد وبعض الأشخاص ضعيف، والله تعالى اعلم"⁽³⁾.

وكذلك فقد توعد الله سبحانه وتعالى الذين يحاربون الله ورسوله، والذين يسعون في الأرض فساداً بالخزي في الدنيا والعذاب العظيم في الآخرة؛ قال تعالى: (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ)⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ الطبري: جامع البيان (499\1).

⁽²⁾ هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي أبو عبد الله، القرطبي: من كبار المفسرين. صالح متعبد. من أهل قرطبة. رحل إلى الشرق واستقر بمنية ابن خصيب (في شمالي أسبوط، بمصر) وتوفي فيها. من كتبه "الجامع لأحكام القرآن توفي سنة 671هـ. انظر: الزركلي: الأعلام (322\5).

⁽³⁾ القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (77\2).

⁽⁴⁾ سورة المائدة: 33.

"المحاربون لله ولرسوله، هم الذين بارزوه بالعداوة، وأفسدوا في الأرض بالكفر، والقتل، وأخذ الأموال، وإخافة السبيل والمشهور أن هذه الآية الكريمة، في أحكام قطاع الطريق، الذين يعرضون للناس، في القرى والبادي، فيغصبونهم أموالهم، ويقتلونهم، ويخيفونهم، فيمتنع الناس من سلوك الطريق، التي هم بها، فتقطع بذلك فأخبر الله أن جزاءهم ونكالهم عند إقامة الحد عليهم أن يُفعلَ بهم واحد من هذه الأمور"⁽¹⁾.

وفي هذا الحد تخويف وردع بما يناسب هذه الجريمة التي تستحق مثل هذا العقاب ؛ حتى يكون من يتجرأ على فعلها عبرة لمن يعتبر فمن يُخَوِّف الناس لا بد له أن يُخَوِّف، فهذه دلالة على أن الإنذار والتخويف ما جاء إلا لمصلحة العباد ولحفظ حقوقهم وممتلكاتهم، فلو امتثل المسلمون اليوم أمر الله وطبقوا القرآن واقعا عمليا في حياتهم، وقاموا على حدوده وأحكامه لساد العدل بين الناس، ولأخذ المظلوم حقه من الظالم، ولما عاش المسلمون هذا الذل والهوان بين الأمم ، لأن الناظر في حال الأمم اليوم يجد أن الظلم انتشر وتغلغل فيها فالمظلوم غير منصوف والظالم لا أحد يأخذ على يديه، فالعصابات انتشرت في المجتمعات لترويع الناس وسرقت ممتلكاتهم، فلو طبقت هذه الأحكام لتختلف حال تلك الأمم .

المطلب الثاني: الإنذار من حياة البرزخ والتخويف من عذاب القبر

إن ذكر حياة البرزخ وهي " ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت إلى البعث فمن مات فقد دخل البرزخ"⁽²⁾، والتي أشار الله عز وجل إليها في كتابه، ووصفها المصطفى صلى الله عليه وسلم - في سنته، وما ذلك إلا إنذار لأولي الأبصار، إنذار لمن كان له قلب، حتى لا يسوق نفسه إلى هذا العذاب الأليم؛ الذي لا يُمكن لأي حي أن يتصوره، فهو عذاب مفزع تقشعر منه الأبدان، حيث ذكره الله تعالى في كتابه واصفاً عذاب آل فرعون في قبورهم، قال تعالى: (فَوَقَاهُ اللَّهُ

⁽¹⁾ السعدي: تيسير الكريم الرحمن (1/229-230).

⁽²⁾ الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر: مختار الصحاح (مج1). تحقيق محمود خاطر . ط جديدة . بيروت: مكتبة لبنان ناشرون 1415هـ. (20\1).

سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (45) النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (1).

يقول الإمام الرازي في تفسيره: "الآية تقتضي عرض النار عليهم غدوًّا وعشيًّا، وليس المراد منه يوم القيامة لأنه قال: وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ، وليس المراد منه أيضاً الدنيا؛ لأن عرض النار عليهم غدوًّا وعشيًّا ما كان حاصلًا في الدنيا، فنبت أن هذا العرض إنما حصل بعد الموت وقبل يوم القيامة، وذلك يدل على إثبات عذاب القبر في حق هؤلاء، وإذ ثبت في حقهم ثبت في حق غيرهم؛ لأنه لا قائل بالفرق" (2).

فعذاب القبر هو أول منازل الآخرة، ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعيز من عذاب القبر، ولهذا كان النبي ﷺ يدعو في آخر صلاته "وأعوذ بك من عذاب القبر" (3).

وكان صلى الله عليه وسلم يُحذر صحابته الكرام من عذاب القبر، ويُخوفهم من هوله "عَنْ أُمِّ مَيْمُونَةَ (4) قَالَتْ دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا فِي حَائِطٍ مِنْ حَوَائِطِ بَنِي النَّجَّارِ فِيهِ قُبُورٌ مِنْهُمْ، وَهُوَ يَقُولُ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلِقَبْرِ عَذَابٍ، قَالَ: نَعَمْ، وَإِنَّهُمْ لَيُعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ تَسْمَعُهُ الْبَهَائِمُ" (5).

¹ سورة غافر: 45-46.

² الرازي: التفسير الكبير (64\27).

³ البخاري: الجامع الصحيح المختصر. كتاب صفة الصلاة، باب الدعاء قبل السلام، الحديث (798). (286\1).

وأخرجه مسلم: صحيح مسلم. كتاب الصلاة، باب استحباب التعوذ من عذاب القبر، الحديث (584). (410\1).

⁴ هي حُمَيْمَةُ بنت صَيْفِي بن صَخْر من بني كعب بن سلمة من الأنصار تزوجها البراء بن معرور، وأظنها ابنة

عمه، لأن البراء بن معرور بن صخر من بني كعب بن سلمة من الأنصار، ثم تزوجها بعد البراء زيد بن

حارثة، أسلمت وبايعت. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد الجزري: أسد الغابة في معرفة الصحابة. 7 مج. ط1.

تحقيق: عادل احمد الرفاعي. بيروت: دار إحياء التراث العربي 1417هـ. (80\7).

⁵ ابن حبان محمد بن حبان بن أحمد: صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان. 16 مج. تحقيق شعيب الأرنؤوط.

ط2. بيروت: مؤسسة الرسالة 1414هـ. فصل في أحوال الميت في قبره. ذكر الأخبار بأن البهائم تسمع أصوات

من عذب في قبره. الحديث (3125). (395\7). قال عنه الالباني صحيح. انظر: الالباني، محمد ناصر الدين:

السلسلة الصحيحة. (7 مج). بدون ط. الرياض: مكتبة المعارف. الحديث (1444). (429\3).

والأحاديث الصحيحة التي تثبت عذاب القبر بلغت حد التواتر وقد ورد في السنة تفصيل لعذاب القبر من ذكر ضمة القبر، وسؤال الملكين ووصف حالهم، وعرض المقاعد على أهل القبور، ومن هذه الأحاديث ما رواه الإمام أحمد في مسنده في حديث طويل قوله صلى الله عليه وسلم "... وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعِ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالِ مِنَ الْآخِرَةِ نَزَلَتْ عَلَيْهِ مَلَائِكَةٌ غَلَاظٌ شِدَادًا فَانْتَزَعُوا رُوحَهُ كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُودُ الْكَثِيرُ الشَّعْبِ مِنَ الصُّوفِ الْمُبْتَلِّ وَتُنزَعُ نَفْسُهُ مَعَ الْعُرُوقِ فَيَلْعَنُهُ كُلُّ مَلَكٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَكُلُّ مَلَكٍ فِي السَّمَاءِ وَتُغْلَقُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَابٍ إِلَّا وَهُمْ يَدْعُونَ اللَّهَ أَنْ لَا تَعْرِجَ رُوحَهُ مِنْ قَبْلِهِمْ فَإِذَا عُرِجَ بِرُوحِهِ قَالُوا رَبُّ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ عَبْدُكَ قَالَ أَرْجِعْهُ فَإِنِّي عَهَدْتُ إِلَيْهِمْ أَنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ وَفِيهَا أَعِيدُهُمْ وَمِنْهَا أَخْرَجْتُهُمْ تَارَةً أُخْرَى قَالَ فَإِنَّهُ لَيْسَمُعُ خَفَقَ نَعَالِ أَصْحَابِهِ إِذَا وَلَّوْا عَنْهُ قَالَ: فَيَأْتِيهِ آتٍ فَيَقُولُ مَنْ رَبُّكَ مَا دِينُكَ مَنْ نَبِيِّكَ فَيَقُولُ لَأُدرِي فَيَقُولُ لَأُدرِي تَلَوْتَ وَكَلِمَاتٍ وَيَأْتِيهِ آتٍ قَبِيحُ الْوَجْهِ قَبِيحُ النَّيَابِ مُنْتِنُ الرِّيحِ فَيَقُولُ أَبْشِرْ بِهِوَانٍ مِنَ اللَّهِ وَعَذَابٍ مُقِيمٍ فَيَقُولُ وَأَنْتَ فَبَشِّرْكَ اللَّهُ بِالْشَرِّ مَنْ أَنْتَ فَيَقُولُ أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ كُنْتَ بَطِينًا عَنِ طَاعَةِ اللَّهِ سَرِيعًا فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ فَجَزَاكَ اللَّهُ شَرًّا ثُمَّ يُقَيِّضُ لَهُ أَعْمَى أَصَمُّ أَبْكَمُ فِي يَدِهِ مِرْزَبَةٌ لَوْ ضُرِبَ بِهَا جَبَلٌ كَانَ تُرَابًا فَيَضْرِبُهُ ضَرْبَةً حَتَّى يَصِيرَ تُرَابًا ثُمَّ يُعِيدُهُ اللَّهُ كَمَا كَانَ فَيَضْرِبُهُ ضَرْبَةً أُخْرَى فَيَصِيحُ صِيحَةً يَسْمَعُهُ كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ قَالَ الْبِرَاءُ بْنُ عَازِبٍ ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنَ النَّارِ وَيْمَهْدُ مِنْ فُرْشِ النَّارِ"⁽¹⁾.

فقد كان السلف الصالح يخافون من القبر وضمته ، فتلك اللحظة التي يوضع العبد فيها بقبره عندما يلحد وينهال عليه التراب ، وتظلم تلك الحفرة ، كيف سيكون الحال، لذلك كان لابد لكل عاقل، ولكل من له قلب نابض، أن يتفكر ويتخيل نفسه في تلك الحفرة، في ظلمة القبر كيف سيكون الحال، لذلك كان لابد من ركوب قارب النجاة من عذاب القبر والعمل بما جاء في السنة من تجنب مسببات عذاب القبر، والعمل بالمُنْجِيَّاتِ من عذاب القبر. فالسلف الصالح رضوان الله عليهم - كانوا يخافون القبر ويخافون ضمته.

⁽¹⁾ ابن حنبل، أحمد بن محمد: مسند الإمام أحمد بن حنبل. 50 جزء. ط2. تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون. بيروت: مؤسسة الرسالة 1420هـ. (الحديث 18614). (576\30).

المطلب الثالث: الإنذار من يوم القيامة.

لقد أمر الله سبحانه وتعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بإنذار الناس من وقفة لابد منها، ومن يوم يتحسر فيه كل مقصر على ما فرط في جنب الله ؛ مما يراه من هول المطلع وشدة الموقف، قال تعالى (وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ⁽¹⁾).

في هذه الآية تصوير لمشهد من مشاهد يوم القيامة ، مشهد الحسرة، ويا له من مشهد رهيب، كل الناس يتحسرون فيه، كما يقول الإمام الشوكاني: "فالمسئ يتحسر على إساءته، والمُحسن على عدم استكثاره من الخير"⁽²⁾.

"وأحق ما يُنذر به ويُخوف به العباد، يوم الحسرة حين يُقضى الأمر، فيُجمع الأولون والآخرون في موقف واحد، ويُسألون عن أعمالهم، فمن آمن بالله، واتبع رسله، سعد سعادة لا يشقى بعدها، ومن لم يؤمن بالله ويتبع رسله شقي شقاء لا يسعد بعدها، وخسر نفسه وأهله، فحينئذ يتحسر ويندم ندامة، تنقطع منها القلوب، وتتصدع منها الأفئدة، وأي حسرة أعظم من فوات رضا الله وجنته، واستحقاق سخطه والنار، على وجه لا يتمكن الرجوع، ليستأنف العمل ولا سبيل له إلى تغيير حاله بالعودة إلى الدنيا... والحال أنهم في الدنيا في غفلة عن هذا الأمر العظيم لا يخطر بقلوبهم، ولو خطر، فعلى سبيل الغفلة، قد عمتهم الغفلة وشملتهم السكره فهم لا يؤمنون بالله، ولا يتبعون رسله، قد ألتهتهم دنياهم، وحالت بينهم وبين الإيمان شهواتهم المنقضية الفانية، فالدنيا وما فيها، من أولها إلى آخرها، ستذهب عن أهلها، ويذهبون عنها، وسيرث الله الأرض ومن عليها، ويرجعهم إليه، فيجازيهم بما عملوا فيها، وما خسروا فيها أو ربحوا، فمن عمل خيراً، فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك، فلا يلومن إلا نفسه"⁽³⁾.

⁽¹⁾ سورة مريم: 39.

⁽²⁾ الشوكاني: فتح القدير (334\3).

⁽³⁾ انظر: السعدي: تيسير الكريم الرحمن (493\1).

وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم متى تكون تلك الحسرة "عن أبي سعيد الخدري⁽¹⁾ رضي الله عنه قال: قال: رسول الله ﷺ يُوتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ فَيُنَادِي مُنَادٍ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَشْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ، فيقول هل تعرفون هذا، فيقولون نعم هذا الموت، وكلهم قد رآه ثم يُنادي يا أهل النار، فَيَشْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ، فيقول: هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت، وكلهم قد رآه فيذبح ثم يقول يا أهل الجنة خلوداً فلا موت، ويا أهل النار خلوداً فلا موت ثم قرأ (وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) (2) " (3).

إن من يعيش في الدنيا غافلاً متبعاً شهواتها، مؤثراً هواه على أمر الله، لا بد له أن يندم يوم لا ينفع الندم، فهذا اليوم العظيم؛ الذي يقف الناس فيه للحساب، وصفه الله تعالى أنه قريب، وفي ذلك دعوة للناس للاستعداد لهذا اليوم العظيم، وجاءت آيات كثيرة للتخويف من ذلك اليوم، حتى ينتهي العاصي عن عصيانه، والمقصر عن تقصيره، والكافر عن كفره، فقال تعالى مخاطباً نبيه - صلى الله عليه وسلم - (وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطْمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ) (4).

و" الأزفة: القربية، من أزف الشيء إذا قرب⁽⁵⁾، والأزفة في الآية صفة لمحذوف قد علم واستقر في النفوس هوله، فعبر عنه بالقرب تخويفاً، والتقدير يوم الساعة الأزفة، أو الطامة الأزفة ونحو هذا، فكما لو قال وأنذرهم الساعة لعلم هولها بما استقر في النفوس من أمرها، فكذلك علم هنا إذا جاء بصفتها التي تقتضي حلولها واقترابها"⁽⁶⁾.

⁽¹⁾ هو الصحابي الجليل، سعد بن مالك بن سنان لأنصاري الخزرجي، استصغر بأحد واستشهد أبوه بها وغزا هو ما بعدها روى عن النبي صلى الله عليه وسلم الكثير، مات سنة أربع وسبعين. انظر: ابن حجر، أحمد بن علي: الإصابة في تمييز الصحابة. 8م.ج. تحقيق علي محمد البجاوي. ط1. بيروت: دار الجيل 1412هـ. (783-79).

⁽²⁾ سورة مريم: 39.

⁽³⁾ البخاري: الجامع الصحيح المختصر، كتاب التفسير، باب وأنذرهم يوم الحسرة، الحديث (4453). (4\1760).

⁽⁴⁾ سورة غافر: 18.

⁽⁵⁾ انظر: ابن فارس: معجم مقاييس اللغة (1\94).

⁽⁶⁾ ابن عطية محمد بن عبد الحق بن غالب: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. 5م.ج. تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية 1413 هـ. (4\552).

فهذا اليوم العظيم هو من أعظم الأمور التي خوف الله سبحانه وتعالى عباده بها، فقد وصف الله سبحانه وتعالى ذلك اليوم، وكيف يكون حال الناس فيه؛ تخويفاً للناس من عصيان الله، ومخالفة أمره، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلُّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ)⁽¹⁾.

وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك اليوم الرهيب الذي تترك فيه المرضع رضيعها، وتتخلى الحامل عن حملها، والناس في ذلك اليوم سُكَارَىٰ وما هم بسُكَارَىٰ من هول ذلك اليوم، فقد روي عن أنس بن مالك⁽²⁾ قَالَ نَزَلَتْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ فِي مَسِيرٍ لَهُ فَرَفَعَ بِهَا صَوْتَهُ حَتَّى ثَابَ إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ ثُمَّ قَالَ: أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا يَوْمَ يَقُولُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا لَأَدَمَ يَا آدَمُ قُمْ فَابْعَثْ بَعْثَ النَّارِ مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ"⁽³⁾.

فالواجب على المسلم أن يبقى على حذر من مكر الله سبحانه وتعالى، فهذا الوصف المخوف؛ إنما ذكره الله تعالى تخويفاً وترهيباً للناس، حتى يبقى المحسن على إحسانه، ويزيد من طاعاته، ويرتدع العاصي عن معصيته، والكافر عن كفره، والظالم عن ظلمه، فالمؤمن إذا ذكر بذلك اليوم خاف من الله تعالى، وتهيأ له بما يستحق.

¹ (سورة الحج: 1-2).

² هو الصحابي الجليل أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار أبو حمزة الأنصاري الخزرجي خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحد المكثرين من الرواية عنه أمه أم سليم أتت به النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم فقالت له: هذا أنس غلام يخدمك فقبله وإن النبي صلى الله عليه وسلم كناه أبا حمزة، توفي سنة تسعين. انظر: ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة (1/126).

³ (ابن حبان: صحيح ابن حبان. باب إخباره ﷺ عن البعث وأحوال الناس في ذلك اليوم. ذكر الإخبار عن وصف قلة أهل الجنة في كثرة أهل النار نعود بالله منها، الحديث (7354). (16\352). قال عنه المحقق العلامة شعيب الارنؤوط حديث صحيح على شرط مسلم.

وأما عن حال المشركين يوم القيامة فقد وصف سبحانه وتعالى حالهم عند الحساب قال تعالى: **(الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)**(1).
 ففي الآية بيان حال المشركين عندما يُنكرون شركهم بالله، وهذه هي صفتهم في الدنيا وفي الآخرة الكذب، ولكن أين المفر، فالشاهد عليهم سيكون الأعضاء التي استخدموها في المعصية، وهذا أبلغ في الحجة؛ لأن شهادة غير الناطق أبلغ من شهادة الناطق لأن في ذلك إعجازاً(2)
 وقد بين الله سبحانه وتعالى تلك الشهادة في سورة فصلت، حيث قال تعالى: **(حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا لِحُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)**(3).

وفي هذا المعنى جاء الحديث الشريف من رواية أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال ضحك رسول الله ﷺ ذات يوم أو تبسم فقال رسول الله ﷺ ألا تسألوني من أي شيء ضحكت فقال عجبت من مجادلة العبد ربه يوم القيامة يقول يا رب أليس وعدتني أن لا تظلمني قال بلى قال فإني لا أقبل علي شهادة شاهد إلا من نفسي فيقول أو ليس كفى بي شهيدا وبالملائكة الكرام الكاتبين قال فيردد هذا الكلام مرات فيختم على فيه وتكلم أركانه بما كان يعمل فيقول بعدا لكم وسحقا عنكم كنت أجادل"(4).

فاليد الذي بطشت تتكلم وتقول: أنا بطشت، والرجل التي مشيت إلى الحرام تقول: أنا مشيت، والجلد الذي لامس الحرام يقول: أنا لامست، والأذن التي لطالما استمعت للحرام تقول: أنا

(1) سورة يس: 65.

(2) انظر: الشوكاني: فتح القدير(378\4).

(3) سورة فصلت: 20- 21.

(4) الحاكم، محمد بن عبدالله: المستدرک علی الصحیحین. 4مج. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية 1411هـ. (644\4). قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه.

سمعت، والعين التي تلذذت بالحرام تقول: أنا للحرام نظرت، فيا تعاسة صاحبها في ذلك المشهد، وفي تلك المحكمة العادلة .

المطلب الرابع: الإنذار من جهنم

إن القارئ لكتاب الله، والمتدبر لآياته يلاحظ أنها لا تكاد تخلو سورة من سوره إلا وذكر الله فيها النار، وحذر عباده منها، ومن هذه الآيات؛ قوله تعالى: (فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى)(1). "تتوقد وتتلهب وتتوهج" (2).

قال ابن رجب الحنبلي: "إن الله خلق الخلق ليعرفوه، ويعبدوه، ويخشوه، ويخافوه، ونصب لهم الأدلة الدالة على عظمته وكبريائه؛ ليهابوه ويخافوه خوف الإجلال، ووصف لهم شدة عذابه ودار عقابه التي أعدها لمن عصاه؛ ليتقوه بصالح الأعمال، ولهذا كرر سبحانه وتعالى في كتابه ذكر النار، وما أعده فيها لأعدائه من العذاب والنكال، وما احتوت عليه من الزقوم والضريع والحميم والسلاسل والأغلال إلى غير ذلك؛ مما فيها من العظائم والأهوال، ودعا عباده بذلك إلى خشيته، وتقواه، والمسارعة إلى امتثال ما يأمر به ويحبه ويرضاه، واجتناب ما ينهى عنه ويكرهه ويأباه" (3).

ومن الآيات التي خوف الله بها عباده من النار، قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)(4). فهذا الوصف للنار يُفزع القلوب، ويهز الجوارح، إذ إن الوقود الذي تشتعل به النار في الآخرة، يختلف عما اعتاده الناس في الدنيا، ففي

¹ سورة الليل: 14.

² الرازي: التفسير الكبير (184\31).

³ ابن رجب الحنبلي، عبد الرحمن بن أحمد: التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار. مج 1. ط 1. دمشق: مكتبة دار البيان 1421 هـ. (51).

⁴ سورة التحريم: 6.

الآية دلالة على أن الإنذار لا يكون للكفار فحسب، بل للمؤمنين أيضاً، حتى يبقوا على حذر وخوف من هذه النار، وعدم الاغترار بالدنيا وشهواتها الزائلة.

وقد خوف وحذر الرسول صلى الله عليه وسلم من النار كما ورد في الحديث الذي رواه النعمان بن بشير قال: (1) قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُنذِرْكُمْ النَّارَ أُنذِرْكُمْ النَّارَ أُنذِرْكُمْ النَّارَ حَتَّى لَوْ كَانَ فِي مَقَامِي هَذَا وَهُوَ بِالْكَوْفَةِ سَمِعَهُ أَهْلُ السُّوقِ حَتَّى وَقَعَتْ خَمِيصَةٌ (2) كَانَتْ عَلَى عَاتِقِهِ عَلَى رِجْلَيْهِ (3).

وهذا بيان حاله صلى الله عليه وسلم وخوفه على المُنذرين من النار؛ لأنه يعلم ما لا يعلمه المُنذرون، لذلك قال صلى الله عليه وسلم "لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً" (4)

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو في آخر صلاته، ويستعيذ بالله من عذاب النار "عن أنس قال كان أكثرُ دعاءِ النبي ﷺ اللهم ربنا أتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار" (5).

ففي الحديث تخويف لكل الناس المؤمن والكافر من النار إذ إن الرسول صلى الله عليه وسلم الذي عُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر يستعيذ بالله من عذاب النار، فمن باب أولى أن يخاف من يرتكب المعاصي بالليل والنهار.

(1) هو الصحابي الجليل النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة بن جلاس بن زيد الأنصاري الخزرجي، توفي سنة خمس وستين. انظر: ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة (440\6).

(2) الخميصة: كساء أسود معلم من المرعزى والصوف ونحوها. الفراهيدي الخليل بن أحمد: العين. (8مج) بدون ط. القاهرة: دار ومكتبة الهلال. مادة خمص. (191\4). وانظر: ابن منظور: لسان العرب. مادة خمص. (30\7).

(3) ابن حبان: صحيح ابن حبان. باب الخوف والتقوى، الحديث (644). (411\2). قال عنه المحقق شعيب الأرنؤوظ: إسناده حسن.

وأخرجه الإمام أحمد بن حنبل، انظر: ابن حنبل، المسند. الحديث (18398). (348\30).

(4) البخاري: صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم. الحديث (4345). (1689\4).

(5) البخاري: صحيح البخاري، باب قول النبي ﷺ ربنا أتنا في الدنيا حسنة. الحديث (6026). (2347\5).

وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم حر تلك النار حتى يُقربها إلى الأذهان، فيخافها الناس "عن أبي هريرة (1) أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقَدُ ابْنُ آدَمَ جُزْءًا مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ قَالُوا وَاللَّهِ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ فَإِنَّهَا فَضَّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهَا مِثْلُ حَرِّهَا"(2).

وقد جاء في الحديث أن نار جهنم تشتكي إلى الله من شدة حرِّها " فعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قَالَ إِذَا اشْتَدَّ الْحَرُّ فَأَبْرِدُوا بِالصَّلَاةِ فَإِنَّ شِدَّةَ الْحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ وَأَشْتَكَّتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا فَقَالَتْ يَا رَبِّ أَكَلَّ بَعْضِي بَعْضًا فَأَذِنَ لَهَا بِنَفْسَيْنِ نَفْسٍ فِي الشِّتَاءِ وَنَفْسٍ فِي الصَّيْفِ فَهُوَ أَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْحَرِّ وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهَرِيرِ"(3).

فالمتمدبر لكتاب الله، والقارئ لأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم؛ يجد تفصيلاً للنار؛ التي أَعَدَّهَا اللهُ لِمَنْ خَالَفَ أَمْرَهُ وَكَفَرَ بِهِ وَعَصَاهُ، لَا يَتَسَعُ الْمَجَالُ لِتَفْصِيلِهَا وَذِكْرِهَا، وَلَكِنْ خِلَاصَةٌ الْقَوْلِ إِنَّ هَذِهِ النَّارَ الْعَظِيمَةَ؛ مَا وَصَفَهَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِعِبَادِهِ، وَمَا بَيْنَهَا الْأَنْبِيَاءُ لِأَقْوَامِهِمْ إِلَّا إِذْ بَارَأَ وَتَخَوَّفَ لَهُمْ مِنْهَا وَمِنْ حَرِّهَا، حَتَّى يَنْجُونَ مِنْهَا، فَالْوَاجِبُ عَلَى كُلِّ ذِي لُبٍّ، أَنْ يَتَفَكَّرَ بِهَذِهِ الدُّنْيَا وَمَتَاعِهَا الزَّائِلِ، وَيُقَارِنَهَا بِالنَّعِيمِ الْآخِرِيِّ الدَّائِمِ، وَمَا أَعَدَّهُ اللهُ فِي الْجَنَّةِ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَمَا أَعَدَّهُ فِي النَّارِ لِلْمُجْرِمِينَ، حَتَّى يَنْجُو بِنَفْسِهِ مِنْ هَذِهِ النَّارِ.

(1) الحافظ الفقيه صاحب رسول الله ﷺ عبد الرحمن بن صخر الدوسي، أكثر من روى عن النبي صلى الله عليه وسلم، توفي سنة سبع وخمسين. انظر: الذهبي، شمس الدين محمد: تذكرة الحفاظ. 4. مج. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. (321-35).

(2) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في شدة حر نار جهنم ويعد قعرها وما تأخذ من المعدبين. الحديث (2843). (21844).

(3) البخاري: صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب الإبْرَادُ بِالظُّهْرِ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ. الحديث (512) (199\1).

الفصل الثالث
المُنذِرُون فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

المُنذِرُونَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

إن الناظر في كتاب الله عز وجل بعين التدبر، والتأمل، والتفكير، يجد أن آيات الإنذار؛ التي جاءت بنص صريح في كتاب الله عز وجل 120 آية، وهذه الآيات جاءت مختلفة في الأسلوب، والخطاب، والدلالة، فالمُنذِرُ في الآيات مُختلف باختلافها، وبعد التحري، وجمع الآيات، والإطلاع على تفسيرها، حصرت المُنذِرِينَ في القرآن الكريم في خمسة أصناف، وقد جاءت وفق المباحث الآتية:

المبحث الأول: الله جل جلاله

مما لا شك فيه أن الله سبحانه وتعالى هو المُنذِرُ لعباده في الأصل، والآخرين تبع لهذا الأصل، فإذا أُنذِرَ الرسل فبأمر من الله، ووحى منه، وإذا أُنذِرَ القرآن؛ فلأنه وحي من الله، وإذا أُنذِرَ المؤمنون فبما علّموا عن الله، وإذا أُنذِرَ الجن فبما سمعوا من كلام الله، وفي دراستي هذه اعتمدت الوقوف مع نص الآيات التي جاءت صريحة بأن الله هو المُنذِرُ؛ لأقف مع السياق التي جاءت فيه. ودلالة ذلك .

وبعد استقراء الآيات، والتأمل فيها، وجدت أن الآيات التي نصت على أن الله هو المنذر بصيغة الفاعل هي ثلاث آيات، أقف معها بشئ من التفصيل: -

فالآية الأولى قوله تعالى: (فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى)⁽¹⁾ جاءت في سياق الآيات من سورة الليل؛ التي بين الله فيها أقسام الناس في ذلك اليوم، حيث ينقسم الناس حسب أعمالهم، وأن الله قد بين لهم الطرق الصحيحة بالبيان والهدى، وقد أنذرهم وحذرهم من الطريق الباطلة، ومن النار التي أعدها لمن خالف طريقه سبحانه وتعالى، قال ابن عادل "لما عرّفهم سبحانه أن سعيهم شتى وبين ما للمحسنين من اليسرى، وللمسيئين من العُسرى أخبرهم أنه قد مضى ما عليه من البيان، والدلالة، والترغيب، والترهيب، أي: أن الذي يجب علينا في الحكمة إذ خلقنا الخلق للعبادة أن نبين لهم وجوه التعبد ونبين المُتَعَبِّدَ به"⁽²⁾.

⁽¹⁾ سورة الليل:14.

⁽²⁾ ابن عادل: اللباب في علوم الكتاب (20\374).

وقال صاحب نظم الدرر: (1) "ولما أخبر سبحانه وتعالى أنه ألزم نفسه المقدس البيان، وأن له كل شيء، المستلزم لإحاطة العلم وشمول القدرة، شرح ذلك بما سبب عنه من قوله لافتاً القول فقال: فأذرتكم أي حذرتكم أيها المخالفون للطريق الذي بينته؛ ناراً تُلظّي، أي تتقد وتتهب تلهباً ... لا يصلها أي يقاسي حرّها وشدتها على طريق اللزوم والانغماس، إلا الأشقى، أي الذي هو في الذروة من الشقاوة وهو الكافر فإن الفاسق وإن دخلها لا يكون ذلك له على طريق اللزوم" (2)

والآية الثانية قوله تعالى: (إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا) (3)، وهذه الآية هي آخر آية من سورة النبأ، تلك السورة المكية التي جاء فيها من القوارع، والأحداث، والأهوال ما تفرع منها النفوس، وتنزل منها القلوب، هذه السورة ختمها الله سبحانه وتعالى بهذه الآية، وكان هذه الآية جاءت تقريراً للموضوع السورة، فحتم الله بها السورة؛ حتى يستقر معناها في القلوب، وتكون آخر ما يقرع أذن السامع .

قال ابن عاشور (4): "والمقصود من هذه الجملة الإعذار للمخاطبين بقوارع هذه السورة بحيث لم يبق بينهم وبين العلم بأسباب النجاة وضدها شبهة ولا خفاء فالخبر وهو إنا أنذرناكم عذاباً قريباً مستعمل في قطع العذر وليس مستعملاً في إفادة الحكم؛ لأن كون ما سبق إنذاراً أمر معلوم للمخاطبين وافتتح الخبر بحرف التأكيد للمبالغة في الإعذار؛ بتنزيلهم منزلة من يتردد في ذلك" (5).

(1) هو إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بضم الراء بعدها موحدة خفيفة ابن علي بن أبي بكر برهان الدين وكنى نفسه أبا الحسن الخرباوي البقاعي. انظر: السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 12 مج. بدون ط. بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة. (101\1). وانظر: الأندروبي: طبقات المفسرين (348\1).

(2) البقاعي، إبراهيم بن عمر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. 8 مج. تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي بدون ط. بيروت: دار الكتب العلمية 1415 هـ. (449\8).

(3) سورة النبأ: 40.

(4) هو محمد الطاهر بن محمد الشاذلي بن عبد القادر بن محمد بن عاشور، نقيب أشرف تونس وكبير علمائها ولي قضاءها سنة 1267 هـ، ثم الفتيا، فنقابة الأشراف، وتوفي بتونس 1868 م، له كتب، منها شفاء القلب الجريح. انظر: الزركلي: الأعلام (173\6).

(5) ابن عاشور محمد بن الطاهر: التحرير والتنوير. 30 مج. بدون ط. تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع 1997 م. (55\30).

فالمتمأمل للآية التي ختم الله بها الله هذه السورة يرى فيها نظاماً محكماً، إذ إن الله سبحانه وتعالى عبّر عن الإنذار بصيغة الماضي، وهذا التعبير بالماضي بقوله تعالى إنا أنذرناكم، لأن الإنذار، والتخويف، والتحذير حدث بما سبق من الآيات، وقد عبر الله سبحانه وتعالى بالقرب من العذاب لتحققه⁽¹⁾ لأن كل ما هو آت فهو قريب، وإن كان بعيداً في الحقيقة.

وجاء إنذار الكفار، وتذكيرهم بذلك اليوم الذي يتمنى فيه الكافر أن يكون تراباً، فجاءت الآية محاكاة لما أنكروه، قال ابن عاشور: "لأن السورة أقيمت على إنذار منكري البعث فكان ذلك وجه تخصيصه بالذكر أي يوم يتمنى الكافر أنه لم يخلق من الأحياء فضلاً عن أصحاب العقول المكلفين بالشرائع أي يتمنى أن يكون غير مدرك ولا حساس بأن يكون أقل شيء مما لا إدراك له وهو التراب وذلك تلهف وتندم على ما قدمت يدها من الكفر⁽²⁾."

أما الآية الثالثة، والتي جاءت صريحة بإنذار الله سبحانه وتعالى للعباد فهي قوله تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ* فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) (3) قال النسفي: "كأنه قيل: أنزلناه؛ لأن من شأننا الإنذار والتحذير من العقاب وكان إنزالنا إياه في هذه الليلة خصوصاً لأن إنزال القرآن من الأمور الحكيمة وهذه الليلة مفرق كل أمر حكيم"⁽⁴⁾.

فسياق الآيات التي جاءت به الآية من سورة الدخان كان قسماً من الله سبحانه وتعالى؛ حيث أقسم سبحانه أنه منزل القرآن في ليلة مباركة؛ وهي ليلة القدر⁽⁵⁾، لإنذار الناس وتخويفهم .

والتصريح بأن الله هو المُنذر جاء مناسباً لسياق الآيات، وموضوعاتها، حيث كانت جل هذه الآيات مكية، ولعل ذلك لما في السور والآيات المكية من كثرة الإنذار، والتخويف، والتقريع،

⁽¹⁾ انظر: المرجع السابق (56\30).

⁽²⁾ ابن عاشور: التحرير والتنوير (58\30).

⁽³⁾ سورة الدخان: 3-4.

⁽⁴⁾ النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود: تفسير النسفي .4مج. بدون ط. تحقيق: مروان محمد الشعار. بيروت: دار النفائس 2005م. (186\4).

⁽⁵⁾ انظر: الشوكاني: فتح القدير (570\4).

والزجر؛ لما كان عليه الحال في مكة من إيذاء كفار مكة للرسول صلى الله عليه وسلم، ولصحابته الكرام، ولما في تلك المرحلة من عبادة للأصنام، وابتعاد وصد عن سبيل الله؛ فجاءت الآيات بهذه القوة من الإنذار لمناسبة الواقع ، خاصة أن الله هو المُنذِر في الآيات .

المبحث الثاني: الرسل الكرام عليهم السلام

من رحمة الله سبحانه وتعالى بعباده، أنه لم يترك أمة من الأمم، ولم يترك قوماً من الأقوام، إلا وبعث لهم من يذرهم لقاء ربهم، ويبين لهم طريق الهداية من طريق الغواية، ويوضح لهم أمر ربهم، وعلة خلقهم، قال تعالى: **(إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ)**(1) ومعناه أن الله قد بعث إلى كل أمة نبيا يقيم عليهم الحجة، فإن قيل: كيف ذلك، وقد كان بين الأنبياء فترات، وأزمنة طويلة، ألا ترى أن بين عيسى ومحمدا ﷺ ستمائة سنة لم يُبعث فيها نبي، فالجواب أن دعوة عيسى، ومن تقدمه من الأنبياء كانت قد بلغتهم، فقامت عليهم الحجة، فإن قيل: كيف الجمع بين هذه الآية وبين قوله: **(وَلَكِن رَّحِمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ)**(2)، فالجواب أنهم لم يأتهم نذير معاصر لهم، فلا يعارض ذلك من تقدم قبل عصرهم "(3).

فالله سبحانه وتعالى أرسل الرسل عليهم السلام، حتى لا يكون للناس عذر على الله، ولا حجة يحتجون بها عليه، وقد روي عن عبد الله بن مسعود(4) قال: قال رسول الله ﷺ: **لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْمُدْحُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مَدَحَ نَفْسَهُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ أَغْيَرَ مِنَ اللَّهِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ، وَلَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللَّهِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَنْزَلَ الْكِتَابَ وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ**(5).

(1) سورة فاطر: 24.

(2) سورة القصص: 46.

(3) ابن جزى، محمد بن أحمد: التسهيل لعلوم التنزيل. 4 مج. ط4. بيروت: دار الكتاب العربي 1403 هـ (157/3).

(4) هو عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي القرشي الهاشمي، يكنى: أبا العباس، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، ومات عبد الله بن عباس بالطائف سنة ثمان وستين في أيام ابن الزبير، وكان ابن الزبير قد أخرجه من مكة إلى الطائف، ومات بها انظر: ابن عبد البر يوسف بن عبد الله بن محمد: الاستيعاب في معرفة الأصحاب. 4 مج. ط1. تحقيق: علي محمد الجاوي. بيروت: دار الجيل 1412 هـ. (934/3-935).

(5) مسلم: صحيح مسلم. كتاب التوبة، باب غيرة الله تعالى وتحرير الفواحش، الحديث (2760). (2114/4).

وبعد استقراء آيات الإنذار في القرآن الكريم، يلاحظ أن الآيات التي جاءت بصيغة اسم الفاعل بالجمع (منذرين)، والتي تصرح بإنذار الرسل لأقوامهم هي خمس آيات أستعرضها بعجالة، وأترك التفصيل للفصل الأخير.

الآية الأولى: قوله تعالى: (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَعِيًّا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)⁽¹⁾.

يقول الإمام الرازي في تفسير الآية الكريمة: "فهذا يدل على أن الأنبياء عليهم السلام إنما بعثوا حين الاختلاف"⁽²⁾.

أي أن الله سبحانه وتعالى عندما اختلف الناس، بعث إليهم الأنبياء حتى يحكموا بينهم بكتاب الله فيما اختلفوا فيه، فبينوا لهم الطريق المستقيم، فبشروا من اتبعهم برضوان الله، ونيل رحمته ودخوله جنته "ومنذرين من عصى الله، بثمرات المعصية، من حرمان الرزق، والضعف، والإهانة، والحياة الضيقة، وأشد ذلك، سخط الله والنار"⁽³⁾.

الآية الثانية: قوله تعالى: (رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا)⁽⁴⁾. ففي هذه الآية بين الله سبحانه وتعالى المقصود من بعثة الرسل عليهم السلام.

قال الإمام الرازي عند تفسيره لهذه الآية "اعلم أن هذا الكلام أيضاً جواب عن شبهة اليهود، وتقريره أن المقصود من بعثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أن يبشروا الخلق على اشتغالهم

⁽¹⁾ سورة البقرة: 213.

⁽²⁾ الرازي: التفسير الكبير (11\6).

⁽³⁾ السعدي: تيسير الكريم الرحمن (95\1).

⁽⁴⁾ سورة النساء: 165.

بعبودية الله، وأن يندروهم عن الإعراض عن العبودية، فهذا هو المقصود الأصلي من البعثة، فإذا حصل هذا المقصود فقد كمل الغرض وتم المطلوب، وهذا المقصود الأصلي حاصل بإنزال الكتاب المشتمل على بيان هذا المطلوب ... وحاصل هذا الجواب أن المقصود من بعثة الرسل، وإنزال الكتب هو الإعذار والإنذار، وهذا المقصود حاصل سواء نزل الكتاب دفعة واحدة، أو لم يكن كذلك، فكان اقتراح اليهود في إنزال الكتاب دفعة واحدة اقتراحاً فاسداً، وهذا أيضاً جواب عن تلك الشبهة في غاية الحُسن، ثم ختم الآية بقوله وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيمًا⁽¹⁾.

الآية الثالثة: قوله تعالى: (وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ* وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ)⁽²⁾. " ما نرسل المرسلين إلا لأجل أن يبشروا قومهم بالثواب على الطاعة، وينذروهم بالعذاب على المعصية، ولم نرسلهم ليُفْتَرِحَ عليهم، ويُسَخَّرَ بهم"⁽³⁾.

فالله سبحانه وتعالى بين العلة من إرسال الرسل، ولذا جاء هذا البيان في معرض التحذير، والتخويف، والزجر لمن يسخر ويستهزئ بالرسول، فالآية مرتبطة بما قبلها: وهي قوله تعالى: (وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)⁽⁴⁾ فجاءت الآيات منذرة هؤلاء القوم بالعذاب الشديد بالآخرة، إذا هم أصروا على ضلالهم وغييهم.

الآية الرابعة: قوله تعالى: (وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا)⁽⁵⁾. هذه الآية جاءت في سياق إعراض الناس عن آيات الله، وتَعَجُّب من حال هؤلاء الناس كيف يسوقون أنفسهم إلى الخسران بسبب مجادلتهم للرسول عليهم السلام والاستهزاء بهم.

⁽¹⁾ انظر: الرازي: التفسير الكبير (87\11).

⁽²⁾ سورة الأنعام: 48-49.

⁽³⁾ الآلوسي: روح المعاني (154\7).

⁽⁴⁾ سورة الأنعام: 37.

⁽⁵⁾ سورة الكهف: 56.

وقوله تعالى وما نرسل المرسلين أي "والرسل لم نبعثهم ليجادلوا، ولا لتتمنى عليهم الاقتراحات، وإنما بعثناهم مبشرين من آمن بالجنة، ومنذرين من كفر بالنار"⁽¹⁾.

فجاء بيان مهمة الرسل في سياق التهديد بالعذاب، لمن يسخر بالرسل، ويستكبر عن إتباعهم، ويصر على ضلاله وغيه.

أما الآية الخامسة فهي قوله تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ)⁽²⁾. يقول الله سبحانه وتعالى مخاطباً سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم "ولقد أرسلنا في الأمم التي خلت من قبل أمتك، ومن قبل قومك المكذبين منذرين؛ تنذره بأسنا على كفرهم بنا، فكذبوهم، ولم يقبلوا منهم نصائحهم، فأحللنا بهم بأسنا، وعقوبتنا، فانظر كيف كان عاقبة المنذرين، يقول الإمام الطبري عند تفسيره للآية الكريمة يقول:⁽³⁾ فتأمل، وتبين كيف كان غباً⁽⁴⁾ أمر الذين أنذرتهم أنبيأؤنا، وإلام صار أمرهم، وما الذي أعقبهم كفرهم بالله، ألم نهلكهم فنصيرهم للعباد عبرة، ولمن بعدهم عظة"⁽⁵⁾.

وبالنظر في الآيات الكريمة في هذا المبحث بعين التأمل والتدبر نلاحظ ما يلي: -

1 - أن الآيتين الأولى والثانية⁽⁶⁾ في هذا المبحث نزلتا بالمدينة المنورة، وبيننا المقصود من بعثة الرسل عليهم السلام، ببيان رحمة الله سبحانه وتعالى بالعباد، إذ إنه سبحانه وتعالى أرسل الرسل عليهم السلام عندما اختلف الناس، وأنزل معهم الكتاب حتى يفصلوا به بين العباد، وهذا مناسب لحال المسلمين في المدينة، حيث أصبح لهم دولة، وفيها سيد المنذرين -صلى الله عليه وسلم- الذي يحكم بين الناس بالحق، وبما أنزل الله إليه.

⁽¹⁾ ابن عطية: المحرر الوجيز (525\3).

⁽²⁾ سورة الصافات 72.

⁽³⁾ أي يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم.

⁽⁴⁾ وغباً الأمر إذا بلغ آخره. انظر: ابن فارس: معجم مقاييس اللغة (4\379).

⁽⁵⁾ الطبري: جامع البيان (23\66).

⁽⁶⁾ سورة البقرة: 213، سورة نساء: 165.

2 - أما الآيات الأخرى الثالثة والرابعة والخامسة (1)، فنزلت في مكة المكرمة وجاء سياقها لبيان مهمة الرسل عليهم السلام في معرض الرد على الكفار، وتهديدهم بعذاب الله سبحانه وتعالى، وهذا مناسب لواقع الحياة التي كان يعيشها الرسول صلى الله عليه وسلم - وصحابته من إيذاء وسخرية وظلم وتعذيب لمن يتبع الدين الجديد، فجاءت الآيات مزلزلة لهم، ومهددة بعذاب الله سبحانه وتعالى، وأنه سيصيبهم مثل ما أصاب الأقبام السابقة، الذين لم ينتفعوا بالإنذار فحل بهم سخط الله وعقابه .

(1) سورة الأنعام: 48 سورة الكهف: 56 سورة الصافات: 72.

المبحث الثالث: القرآن الكريم

لقد من الله سبحانه وتعالى على أمة العرب، حيث بعث فيهم رسولا من أنفسهم، يُذكرهم ويُنذرهم وأنزل عليهم كتاباً هدى ونوراً لهم في طريق وصولهم إلى جنته ورضوانه يقول الإمام البغوي: "وأنزل عليه بفضلُه نوراً هداهم به من الضلالة، وأنقذهم به من الجهالة، وحكم بالفلاح لمن تبعه، وبالخسارة لمن أعرض عنه بعد ما سمعه، أعجز الخليفة عن معارضته، وعن الإتيان بسورة من مثله في مقابلته، وسهل على الخلق مع إعجازه تلاوته، ويسر على الألسن قراءته، أمر فيه وزجر، وبشر وأنذر، وذكر المواعظ ليُنذركر، وقص عن أحوال الماضين ليُعتبر، وضرب فيه الأمثال ليُنذبر، ودل على آيات التوحيد ليُنفكر"⁽¹⁾.

فالقرآن الكريم؛ هو وحي الله وكلامه، أنزله الله سبحانه وتعالى للناس حتى يتذكروا، ويتعظوا بما فيه من الآيات والنذر، قال تعالى: (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ)⁽²⁾.

ولما جعل الله سبحانه وتعالى كتابه معجزة خالدة إلى يوم القيامة، فقد حفظه من التحريف والتبديل، حتى يكون منذراً لكل من بلغه إلى يوم القيامة، فجعل الله فيه من الآيات، والعبر، والقصص، عبرة وعظة لكل من قرأه، أو سمعه، ولقد جاءت آيات صريحة بذلك؛ تبين العلة من إنزاله حيث قال تعالى: (كِتَابٌ فَصَّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (3) بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ)⁽³⁾. "بشيراً ونذيراً نعتان للقرآن"⁽⁴⁾.

قال الإمام الطبري عند تفسيره للآية "بشيراً لهم يبشرهم إن هم آمنوا به، وعملوا بما أنزل فيه من حدود الله وفرائضه بالجنة، ونذيراً يقول: ومنذرا من كذب به، ولم يعمل بما فيه بأمر الله في عاجل الدنيا، وخلود الأبد في نار جهنم في آجل الآخرة)⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ البغوي: معالم التنزيل (271).

⁽²⁾ سورة القمر: 17

⁽³⁾ سورة فصلت: 3-4.

⁽⁴⁾ البغوي: معالم التنزيل (107/4)

⁽⁵⁾ الطبري: جامع البيان (91\24).

وقال تعالى: (لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ) (1) أي "ليُنذِرَ القرآن" (2).

قال صاحب التفسير الكبير" في بيان الحكمة من قوله: "لينذر" بالياء على وجهين (3) أحدهما: أن يكون المنذر هو النبي ﷺ حيث سبق ذكره في قوله وَمَا عَلَّمْنَاهُ (4) وقوله وَمَا يَنْبَغِي لَهُ وثانيهما: أن يكون المراد أن القرآن يُنذِر، والأول أقرب إلى المعنى، والثاني أقرب إلى اللفظ، أما الأول: فلأن المنذر صفة للرسول أكثر وروداً من المنذر صفة للكتب، وأما الثاني: فلأن القرآن أقرب المذكورين إلى قوله ليُنذِر" (5).

(1) سورة يس: 70.

(2) انظر: الشوكاني: فتح القدير (4\379)، البغوي: معالم التنزيل (19\4)، البيضاوي: تفسير البيضاوي

(441\4) أبا السعود: إرشاد العقل السليم (7\187)، وغيرهم من المفسرين .

(3) أي بقراءتها ليُنذِر .

(4) سورة يس: 69.

(5) الرازي: التفسير الكبير (26\93).

المبحث الرابع: المؤمنون

لقد شَرَفَ اللهُ سبحانه وتعالى هذه الأمة؛ فجعلها آخر الأمم، ومنَ عليها بسيد الخلق والمرسلين وخاتم النبيين محمد -صلى الله عليه وسلم-، وجعلها -هذه الأمة- شاهدة على الأمم يوم القيامة، وكلفها بما كلف به الأنبياء والمرسلين من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتبليغ دين الله، وتبشير المخبتين، وإنذار المعرضين

قال تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا)(1).

وقال تعالى: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمْ)(2).

فالمؤمن مطالب بإرشاد أهله، ودعوتهم، وإنذارهم، وتخويفهم من عصيان الله، ومخالفة أمره، وكذلك هو مطالب بتبليغ دين الله للناس.

وبعد البحث والاستقراء لآيات الإنذار لم أجد سوى آية صريحة بإنذار المؤمنين لقومهم قال تعالى: (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ)(3).

ومعنى الآية "ما كان ينبغي للمؤمنين، ولا يجوز لهم أن ينفروا بكليتهم إلى الجهاد، ويتركوا رسول الله ﷺ بل يجب أن ينقسموا إلى قسمين: فطائفة يكونون مع رسول الله ﷺ وطائفة ينفرون إلى الجهاد؛ لأن ذلك الوقت كانت الحاجة داعية إلى انقسام أصحاب رسول الله ﷺ إلى قسمين: قسم للجهاد وقسم لتعلم العلم والتفقه في الدين"(4).

(1) سورة البقرة: 143.

(2) سورة آل عمران: 110.

(3) سورة التوبة: 122.

(4) الخازن علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم: لباب التأويل في معاني التنزيل. 7. مج. بدون ط. بيروت: دار الفكر 1399هـ-1983).

والمقصود بالمتفقيين والمُنذرين في الآية هم القاعدون⁽¹⁾.

ومعنى الآية أي " ليتعلموا العلم الشرعي، ويعلموا معانيه، ويفقهوا أسرارها، وليعلموا غيرهم، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم ففي هذا فضيلة العلم، خصوصاً الفقه في الدين، وأنه أهم الأمور، وأن من تعلم علماً، فعليه نشره وبثه في العباد، ونصيحتهم فيه فإن انتشار العلم عن العالم، من بركته وأجره الذي ينمو وأما اقتصار العالم على نفسه، وعدم دعوته إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وترك تعليم الجهال ما لا يعلمون، فأى منفعة حصلت للمسلمين منه؟ وأي نتيجة نتجت عن علمه؟ وغايته أن يموت، فيموت علمه وثمرته، وهذا غاية الحرمان لمن آتاه الله علماً ومنحه فهماً، وفي هذه الآية أيضاً دليل وإرشاد، وتنبية لطيف لفائدة مهمة، وهي: أن المسلمين ينبغي لهم، أن يعدوا لكل مصلحة من مصالحهم العامة من يقوم بها، ويوفر وقته عليها، ويجتهد فيها، ولا يلتفت إلى غيرها، لتقوم مصالحهم، وتدوم منافعهم، ولتكون وجهة جميعهم، ونهاية ما يقصدون قصداً واحداً، وهو قيام مصلحة دينهم ودنياهم، ولو تفرقت الطرق، وتعددت المشارب، فالأعمال متباينة، والقصد واحد، وهذه من الحكمة العامة النافعة في جميع الأمور."⁽²⁾.

وفي الآية فائدة أخرى: وهي أنه لا بد لمن يتعلمون العلم الشرعي من استحضارها والتيقن والتفطن لها، ألا وهي جعل الغرض والمرمى من التفقه " إنذار قومهم، وإرشادهم، والنصيحة لهم،"⁽³⁾.

وقبل ذلك لا بد لطالب العلم الشرعي من إخلاص النية لله سبحانه وتعالى، حتى لا يكون من الخاسرين الهالكين يوم لا ينفع الندم، لأن الرياء إذا دخل على النية أفسدها، والله سبحانه وتعالى لا يقبل العمل من العبد إلا إذا كان خالصاً له سبحانه، غير مشرك به أحداً سواه .

⁽¹⁾ انظر: الطبري: جامع البيان (68\11)، الألويسي: روح المعاني(48\11)، القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (293\8). وهذا القول الراجح في الآية . وهناك قول آخر أن المتفقيين والمنذرين هم الطائفة النافرة . انظر: ابي حيان: التفسير المحيط(116\5)، وانظر: المارودي، علي بن محمد: النكت والعيون. 6 مج. تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم بدون ط. بيروت: دار الكتب العلمية.(415\2).

⁽²⁾ السعدي: تيسير الكريم الرحمن (355\1).

⁽³⁾ الزمخشري: الكشاف (308\2).

المبحث الخامس: الجن

لقد خلق الله سبحانه وتعالى الجن والإنس لغاية عظيمة، وحكمة بالغة، فلم يخلقهم عبثاً، إنما خلقهم لعبادته وحده، وعدم الإشراك به، قال تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (1)، ومن أجل تحقيق تلك العبودية كان لابد من إرسال الرسل؛ فبعث الله المرسلين، مبشرين ومنذرين، وكلف عباده بدعوة الناس لعبادته، وتبشيرهم، وإنذارهم، فقام المؤمنون من الجن والإنس بما كُفوا به فأنذروا وبشروا، وقد بينت بما سبق إنذار المؤمنين من الإنس، وفي هذا المبحث أبين إنذار المؤمنين من الجن .

لقد جاء نص القرآن الكريم صريحاً واضحاً بإنذار مؤمني الجن لقومهم، قال تعالى: (وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ * قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ * يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) (2).

وجاء استماع الجن لقراءة الرسول صلى الله عليه بعدما حيل بينهم وبين خبر السماء، قال ابن عباس -رضي الله عنه- " ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن وما رآهم انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين إلى قومهم، فقالوا: ما لكم، قالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب، قالوا: ما ذلك إلا من شيء حدث فأضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا ما هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء، فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها، فمرّ النفر الذين أخذوا نحو تهامة وهو بنخل عامدين إلى سوق عكاظ، وهو

(1) سورة الذاريات: 56.

(2) سورة الأحقاف: الآيات: 29-32.

يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ صَلَاةَ الْفَجْرِ، فَلَمَّا سَمِعُوا الْقُرْآنَ اسْتَمَعُوا لَهُ، وَقَالُوا هَذَا الَّذِي حَالَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، فَرَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ، فَقَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ (قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا) (1)(2). "وهذا الذي حكاه عبد الله بن عباس ؛ إنما هو في أول ما سمعت الجن قراءة النبي صلى الله عليه وسلم، وعلمت بحاله، وفي ذلك الوقت لم يقرأ عليهم، ولم يرههم كم حكاه، ثم أتاه داعي الجن مرة أخرى، فذهب معه، وقرأ عليهم القرآن، كما حكاه عبد الله بن مسعود، ورأى آثارهم، وآثار نيرانهم، والله أعلم" (3).

فالجن أول ما سمعت القرآن لم يرههم النبي صلى الله عليه وسلم ولم يشعر بهم، ولكن الله سبحانه وتعالى أنذرهم بهم بعد ذلك .

يتضح مما سبق سماع الجن القرآن من الرسول صلى الله عليه وسلم بنص القرآن الكريم ومن سنة المصطفى - صلى الله عليه وسلم -، وخلاصة القول في ذلك إن "كان الله تعالى قد أرسل رسوله محمدا ﷺ إلى الخلق إنسهم وجنهم وكان لا بد من إبلاغ الجميع لدعوة النبوة والرسالة فالإنس يمكنه عليه الصلاة والسلام دعوتهم وإنذارهم وأما الجن فصرفهم الله إليه بقدرته وأرسل إليه (نقرأ من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا) وصلى بعضهم بعضا بذلك (فلما قضى) وقد وعوه وأثر ذلك فيهم (ولوا إلى قومهم منذرين) نصحا منهم لهم وإقامة للحجة عليهم وقيضهم الله معونة لرسوله ﷺ في نشر دعوته في الجن" (4).

ولكن رب قائل يقول: هل كان من الجن أنبياء ورسول؟

(1) سورة الجن: 1.

(2) مسلم: صحيح مسلم. كتاب الصلاة . باب الْجَهْرِ بِالْقِرَاءَةِ فِي الصُّبْحِ وَالْقِرَاءَةِ عَلَى الْجِنِّ، الْحَدِيث 449 (1\331).

(3) البيهقي، أحمد بن الحسين: دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة. 7 مج. تحقيق: عبد المعطي قلجعي ط1. بيروت: دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث 1408 هـ (2\226).

(4) السعدي: تيسير الكريم الرحمن (1\783).

اختلف أهل العلم في ذلك على قولين:

الأول : ليس في الجن أنبياء ورسول ، وقد قال بهذا القول الإمام القرطبي قال: " وإنما الرسل من الإنس دون الجن" (1).

قال ابن كثير عند تفسيره لقوله تعالى: (وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ) (2) "وقد استدلت بهذه الآية على أنه في الجن نذرٌ، وليس فيهم رسل: ولا شك أن الجن لم يبعث الله منهم رسولاً لقوله: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى) (3) وقال: (وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ) (4) (5).

القول الثاني : في الجن أنبياء ورسول من جنسهم ومن قال بهذا القول الضحاك ، فيما رواه الإمام الطبري عنه "عندما سئل عن الجن هل كان فيهم نبي قبل أن يبعث النبي ﷺ فقال ألم تسمع إلى قول الله يا معشر الجن والإنس ألم يأتيكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي يعني بذلك رسلا من الإنس ورسلا من الجن فقالوا: بلى" (6).

وأما استدلال أصحاب هذا الرأي بقوله تعالى يا معشر الجن والإنس ، أجاب عليه ابن كثير رحمه الله قائلاً: "فأما قوله تعالى في سورة الأنعام: يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ فالمراد من مجموع الجنسين، فيصدق على أحدهما وهو الإنس، كقوله: يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ أَي: أحدهما ثم إنه تعالى فسر إنذار الجن لقومهم فقال مخبراً عنهم: (قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ) (7) ولم يذكروا عيسى؛

(1) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن. (163\17).

(2) سورة الأحقاف: 39 .

(3) سورة يوسف: 109 .

(4) سورة الفرقان: 20 .

(5) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم (302\7).

(6) الطبري: جامع البيان (36\8).

(7) سورة الأحقاف: 30.

لأن عيسى، عليه السلام، أنزل عليه الإنجيل فيه مواظ وتزيقات وقليل من التحليل والتحريم، وهو في الحقيقة كالمتمم لشريعة التوراة، فالعمدة هو التوراة؛ فهذا قالوا: أنزل من بعد موسى⁽¹⁾.

والذي يترجح من ذلك هو القول الأول، أن الله لم يبعث من الجن رسلاً وإنما كانوا رسلاً لرسول الله، والنبى صلى الله عليه وسلم بُعث للإنس والجن، فهم مأمورون بالإيمان به، والإقتداء به وبدعوته، وإنذار جنسهم بما أنزل الله تعالى.

⁽¹⁾ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم (302/7).

الفصل الرابع
المُنذَرُونَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

المُنذَرُونَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

بعد تدبر آيات الإنذار التي وردت في كتاب الله تعالى عز وجل، كانت تلك الآيات فيها، مُنذِرٌ ومُنذَرٌ، ومُرَهَّبٌ ومُرَهَّبٌ ولقد بينت المُنذِرِينَ فِي الْفَصْلِ السَّابِقِ، وَفِي هَذَا الْفَصْلِ سَأَتَنَاوَلُ الْمُنذِرِينَ، وَبَعْدَ جَمْعِ الْآيَاتِ، وَالْإِطْلَاعِ عَلَى تَفْسِيرِهَا، قَسَمْتُ الْمُنذِرِينَ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى سَبْعَةِ أَصْنَافٍ ضَمَّتْهَا سَبْعَةٌ مَبَاحِثٌ وَهِيَ: -

المبحث الأول: المؤمنون

لقد خص الله سبحانه وتعالى المؤمنين بالإنذار، فبين الله سبحانه وتعالى أن من مهام رسوله محمد صلى الله عليه وسلم تبشير المؤمنين وإنذارهم يبشر المؤمنين بنعيم الله، وينذرهم عقاب الله وغضبه، كما أنه ينذر الكفار والعصاة، وقد أمر الله نبيه أن يقول لقومه أن مهمته الإنذار، قال تعالى: (إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (1) " والمؤمنون ينتفعون بالإنذار كما ينتفعون بالتبشير" (2).

ولقد بين الله سبحانه وتعالى أن المؤمنين يُنذَرُ بعضهم بعضاً، فإذا تعلم قوم منهم أحكام الله وآياته، وجب عليهم إنذار إخوانهم من المؤمنين، قال تعالى: (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) (3).

ولقد وصف الله سبحانه وتعالى المؤمنين الذين خصهم بالإنذار بصفات أصف معها بشيء من البيان والتفصيل، مع بيان دلالة السياق التي وردت فيه حيث جاءت ضمن المطالب التالية:

(1) سورة الأعراف: 188.

(2) الألويسي: روح المعاني (9/137).

(3) سورة التوبة: 122.

المطلب الأول: إنذار من كان له قلب حي.

قال تعالى: (لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ)⁽¹⁾ قال الإمام البيضاوي عند تفسيره للآية الكريمة (مَنْ كَانَ حَيًّا) عاقلا فهما فإن الغافل كالميت أو مؤمنا في علم الله تعالى فإن الحياة الأبدية بالإيمان وتخصيص الإنذار به لأنه المنفع به (وَيَحِقُّ الْقَوْلُ)، وتجب كلمة العذاب (عَلَى الْكَافِرِينَ) المصرين على الكفر وجعلهم في مقابلة من كان حيا إشعارا بأنهم لكفرهم وسقوط حجتهم وعدم تأملهم أموات في الحقيقة"⁽²⁾.

قال الشيخ السعدي عند تفسيره لآية: (لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا): " أي : حي القلب واعي، فهو الذي يزكو على هذا القرآن، وهو الذي يزداد من العلم منه والعمل ، ويكون القرآن لقلبه، بمنزلة المطر للأرض الطيبة الزاكية "⁽³⁾.

فالمؤمن هو الحي الذي يتعظ، ويُذكر بآيات الله تعالى، أما غيره فهو الميت، وإن كان له قلب ينبض، وعين تتظر، ولسان يتكلم، قال تعالى: أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)⁽⁴⁾، وقال تعالى: (وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ)⁽⁵⁾، " فشبه المؤمنين بالأحياء وشبه الكافرين بالأموات "⁽⁶⁾.

فمن كان مؤمنا بالله، ذا قلب حي مبصر، فهذا ينفع بالندارة، أما من أمات قلبه وأفله، فلا ينفع بالمواعظ والندر، بل يعيش في الظلمات يتخبط فيها، وليس بخارج منها .

⁽¹⁾ سورة يس: 70.

⁽²⁾ البيضاوي: أنوار التنزيل (4/441).

⁽³⁾ السعدي: تيسير الكريم الرحمن (1/699).

⁽⁴⁾ سورة الأنعام: 122.

⁽⁵⁾ سورة فاطر: 22.

⁽⁶⁾ الشوكاني: فتح القدير (4/346).

المطلب الثاني: إنذار المؤمنين الذين يخشون ربهم بالغيب.

قال تعالى: (إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ)⁽¹⁾.

قال الإمام الزجاج:⁽²⁾ "والمعنى هاهنا أن إنذارك ينفع الذين يخشون ربهم"⁽³⁾، فتأويل الآية يكون كما يقول الإمام الطبري: "إنما تنذر يا محمد الذين يخافون عقاب الله يوم القيامة من غير معاينة منهم لذلك ولكن لإيمانهم بما أتيتهم به وتصديقهم لك فيما أنبأتهم عن الله، فهؤلاء الذين ينفعهم إنذارك ويتعظون بمواعظك لا الذين طبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون"⁽⁴⁾.

فالمنفعة بالإنذار هو من خشي "وخاف الله حين يغيب عن أبصار الناظرين لا المنافق الذي يستخف بدين الله إذا خلا، ويظهر الإيمان في الملاء، ولا المشرك الذي قد طبع الله على قلبه"⁽⁵⁾.

وقد وعد الله سبحانه وتعالى الذين يخشون ربهم بالغيب بالمغفرة والأجر الكبير، قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ)⁽⁶⁾ فالذين يخشون ربهم بالغيب هم الذين يعرفون حق الله عليهم، ومراقبته إياهم في السر والعلن، ويعلمون أنه مطلع عليهم مهما تخفوا وتستروا، وهم دائماً منيبون إلى الله"⁽⁷⁾، كما في قوله تعالى: (هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ * مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ)⁽⁸⁾.

⁽¹⁾ سورة فاطر: 18.

⁽²⁾ هو إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج: عالم بالنحو واللغة ولد ومات في بغداد كان في فتوته يخرط الزجاج ومال إلى النحو فعلمه المبرد من كتبه: معاني القرآن والاشتقاق وخلق الإنسان، والامالي في الأدب واللغة توفي سنة 311هـ. انظر: الزركلي: الأعلام (40\1).

⁽³⁾ الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل: معاني القرآن وإعرابه. 5 أجزاء. ط1. بيروت: عالم الكتاب 1408هـ. (267\4).

⁽⁴⁾ الطبري: جامع البيان (128\22).

⁽⁵⁾ المرجع السابق (153\22).

⁽⁶⁾ سورة الملك: 12.

⁽⁷⁾ الشنقيطي، محمد او الدراسات. مد المختار: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. 9 مج. تحقيق: مكتب البحوث والدراسات. بدون ط. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر 1415هـ. (235\8).

⁽⁸⁾ سورة ق: 32-33.

المطلب الثالث: إنذار الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم

أمر الله سبحانه وتعالى نبيه بإنذار الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم، قال تعالى: (وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ)⁽¹⁾، قال الإمام الواحدي:⁽²⁾ "يريد المؤمنين، يخافون يوم القيامة وما فيها من الأهوال"⁽³⁾.

"وعرّفوا بالموصول لما تدلّ عليه الصلة من المدح، ومن التعليل بتوجيه إنذاره إليهم دون غيرهم، لأنّ الإنذار للذين يخافون أن يحشروا إنذار نافع، خلافاً لحال الذين ينكرون الحشر، فلا يخافونه فضلاً عن الاحتياج إلى شفعاء.... وقوله: (لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) رجاءً مسوقاً مساق التعليل للأمر بإنذار المؤمنين؛ لأنهم يرجى تقواهم، بخلاف من لا يؤمنون بالبعث"⁽⁴⁾.

أما تخصيص الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم بالإنذار؛ لأنه يمكن أن يكون معنى يخافون هنا يعلمون قال الإمام الطبري عند تفسيره للآية الكريمة: " فوضعت المخافة موضع العلم لأن خوفهم كان من أجل علمهم بوقوع ذلك ووجوده من غير شك منهم في ذلك، وهذا أمر من الله تعالى لنبيه محمد ﷺ بتعليم أصحابه ما أنزل الله إليه من وحيه، وتذكيرهم والإقبال عليهم بالإنذار، وصدّه عن المشركين به بعد الإعذار إليهم، وبعد إقامة الحجة عليهم حتى يكون الله هو الحاكم في أمرهم بما يشاء من الحكم فيهم"⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ سورة الأنعام: 51.

⁽²⁾ علي بن أحمد بن محمد بن علي، أبو الحسن الواحدي: مفسر، عالم بالأدب نعتة الذهبي بإمام علماء التأويل. كان من أولاد التجار أصله من ساوة بين الري وهمدان ومولده ووفاته بنيسابور من كتبه البسيط والوسيط والوجيز كلها في التفسير، وقد أخذ الغزالي هذه الأسماء وسمى بها تصانيفه، وشرح ديوان المتنبّي وأسباب النزول، توفي سنة 468 هـ. انظر: الزركلي: الأعلام (255\4).

⁽³⁾ الواحدي، علي بن أحمد: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. 2. مج. تحقيق: صفوان عدنان داوودي. ط1. بيروت: دار القلم الدار الشامية 1415هـ. (355\1).

⁽⁴⁾ انظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير (244\7-245).

⁽⁵⁾ الطبري: جامع البيان (200\7).

المطلب الرابع: إنذار المؤمنين المقيمين الصلاة

يقول تعالى: (إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ)⁽¹⁾ لقد خص الله سبحانه وتعالى بالإنذار في هذه الآية من يخشاه بالغييب، وقيم الصلاة، ومما لاشك فيه أن إقامة الصلاة من الأسباب التي تعين العبد على خشية الله تعالى، لذلك جمع الله تعالى في هذه الآية بين خشيته وإقامة الصلاة؛ فهو لاء الذين يخشون الله تعالى وقيمون الصلاة هم ينتفعون بالندارة وفي هذا يقول الشيخ السعدي: "لأن الخشية لله تستدعي من العبد العمل بما يخشى من تضييعه العقاب، والهرب مما يخشى من ارتكابه العذاب، والصلاة تدعو إلى الخير، وتنتهي عن الفحشاء والمنكر"⁽²⁾.

قال الإمام البقاعي عند تفسيره للآية موضحاً العلة من الجمع بين الصلاة والخشية لله تعالى والتعبير بالماضي لإقامة الصلاة: "ولما كانت الصلاة جامعة لخضوع الظاهر والباطن، فكانت أشرف العبادات، وكانت إقامتها بمعنى حفظ جميع حدودها في كل حال أدل الطاعات على الإخلاص قال معبراً بالماضي لأن مواقيت الصلاة مضبوطة، وأقاموا أي دليلاً على خشيتهم"⁽³⁾.

ولأنهم أقاموا الصلاة بأركانها وشروطها وسننها في مواقيتها، فهذا دليل على مراقبتهم لله تعالى وخشيتهم له.

فإقامة الصلاة تنهي المسلم عن الفحشاء والمنكر، وتجعله أكثر قرباً من الله، منتفعاً بآياته مقيماً لأوامره، غير متعد لحدوده، منتفعاً بالإنذار أكثر من غيره، قال تعالى: (اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ)⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ سورة فاطر: 18.

⁽²⁾ السعدي: تيسير الكريم الرحمن (688\1).

⁽³⁾ البقاعي: نظم الدرر (216\6).

⁽⁴⁾ سورة العنكبوت: 45.

المطلب الخامس: إنذار المتبعين للذكر

جاءت هذه الآيات الكريمة في سورة يس بعد قوله تعالى: (وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (10) إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ)(1).

في هذه الآية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي "وسواء يا محمد على هؤلاء الذين حق عليهم القول، أي الأمرين كان منك إليهم؛ الإنذار أم ترك الإنذار، فإنهم لا يؤمنون لأن الله قد حكم عليهم بذلك"(2).

ثم قال الله تعالى: إنما تنذر يا محمد من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب، وهذا ليس على جهة الحصر وإنما على جهة تخصيص من ينفعه الإنذار (3).

"وإتباع الذكر هو العمل بما في كتاب الله تعالى والاعتداء"(4).

وسمي القرآن ذكراً لما يحتويه من "الذكرى والموعظة، أو ذكر ما يحتاج إليه في الدين من الشرائع وغيرها، كأفاصيص الأنبياء والوعد والوعيد"(5)، ومنه قوله تعالى: (ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ)(6).

(1) سورة يس: 10-11.

(2) الطبري: جامع البيان (153\22).

(3) انظر: ابن عطية: المحرر الوجيز (448\4).

(4) المرجع السابق، وانظر: الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم: دار إحياء التراث العربي. 10 مج. تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور. ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي 1422هـ. (8\1229).

(5) الزمخشري: الكشاف (73\4).

(6) سورة ص: 1.

المبحث الثاني: الأقارب (العشيرة الأقربون).

لقد اهتم الإسلام بالأقارب فبين حقوقهم وحث على الإنفاق عليهم فقال تعالى: (وَأْتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ)⁽¹⁾، وقال تعالى: (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى)⁽²⁾ "ويشمل ذلك جميع الأقارب قربوا أو بعدوا بأن يحسن إليهم بالقول والفعل"⁽³⁾.

وحث على صلة الرحم فقال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا)⁽⁴⁾.

قال ابن الأثير "ذو الرحم هم الأقارب ويقع على كل من يجمع بينك وبينه نسب ويُطلق في الفرائض على الأقارب من جهة النساء يقال ذو رحمٍ محرّم ومحرّم وهم من لا يحل نكاحه كالأمّ والبنت والأخت والعمة والخالة"⁽⁵⁾.

ورتب على صلة الرحم أجراً عظيماً، عن أنس بن مالك رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من سرّه أن يبسط عليه رزقه أو ينسأ في أثره فليصل رحمه"⁽⁶⁾.

وحذر عليه الصلاة والسلام من قطع الرحم، وجعل ذلك من الكبائر، قال صلى الله عليه وسلم - (لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاتِعُ رَحِمٍ)⁽⁷⁾.

⁽¹⁾ سورة الإسراء:26.

⁽²⁾ سورة النساء:36.

⁽³⁾ السعدي: تيسير الكريم الرحمن (178\1).

⁽⁴⁾ سورة النساء: 1.

⁽⁵⁾ ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث (504\2).

⁽⁶⁾ مسلم: صحيح مسلم، كتاب البرّ والصلة والأداب، باب صلة الرّحم وتحرّم قطيعتها، الحديث (2557) (1982\4).

⁽⁷⁾ المرجع السابق، الحديث (2556)(1981\4).

فإذا كان قد حرص الشرع على الأقارب في الأمور الدنيوية، وأمر بصلتهم، وإعطائهم حقهم والإنفاق عليهم، وغيرها من الأمور، كان في الجانب الديني أحرص عليهم؛ لأن الدين أهم من الدنيا، لذلك أمر الله سبحانه وتعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بإنذار قومه، قال تعالى: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ)⁽¹⁾.

ورد عن النبي صلى الله عليه لما نزلت هذه الآية أنه قام منذراً عشيرته "فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ: "حين أنزل الله عز وجل وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ قال: يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا اشْتَرَوْا أَنْفُسَكُمْ لَأُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لَأُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً، يَا عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَأُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً، وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لَأُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً، وَيَا فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتَ مِنْ مَالِي لَأُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً"⁽²⁾.

وللعلماء أقوال في تخصيص الأقربين بالندارة :-

قال الإمام الشوكاني⁽³⁾ عند تفسيره للآية الكريمة: "خص الأقربين؛ لأن الاهتمام بشأنهم أولى، وهدايتهم إلى الحق أقدم"⁽⁴⁾.

وقال صاحب البحر المحيط "لأن في إنذارهم، وهم عشيرته، عدم محاباة ولطف بهم، وأنهم والناس في ذلك شرع واحد في التخويف والإنذار، فإذا كانت القرابة قد خوفوا، وأنذروا مع ما يلحق الإنسان في حقهم من الرأفة، كان غيرهم في ذلك أوكد وأدخل، أو لأن البداءة تكون بمن يليه ثم من بعده"⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ سورة الشعراء: 214.

⁽²⁾ البخاري: الجامع الصحيح، كتاب الوصايا، باب هل يدخل النساء والولد في الأقارب، الحديث (2602) (10123).

⁽³⁾ محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء ولد بهجرة شوكان من بلاد خولان، باليمن ونشأ بصنعاء وولي قضاءها سنة 1229 ومات حاكماً بها، من كتبه إرشاد الفحول، توفي سنة 1250 هـ. انظر: الزركلي: الأعلام (6/298).

⁽⁴⁾ الشوكاني: فتح القدير (4/119-120).

⁽⁵⁾ أبو حيان محمد بن يوسف: البحر المحيط، 8. مج. تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، ط1. بيروت: دار الكتب العلمية 1422 هـ (43/7).

وقال ابن عطية رحمه الله: إذ العشيرة مظنة المقاربة والطواعية، وإذ يمكنه معهم من الإغلاظ عليهم ما لا يحتمله غيرهم" (1).

وقال الإمام الفخر الرازي " ولأنه إذا تشدد على نفسه أولاً، ثم بالأقرب فالأقرب ثانياً، لم يكن لأحد فيه طعن ألبتة، وكان قوله أنفع وكلامه أنجع" (2).

لذلك وجب على العلماء والدعاة والمصلحين إنذار أهليهم، وإرشادهم لما فيه صلاح دينهم، والصبر عليهم، وتربية أبنائهم حتى يكونوا قدوة لغيرهم، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) (3)، أي "مروهم بطاعة الله، وانهؤم عن معصية الله" (4) وبذلك تكون "وقاية النفس عن النار بترك المعاصي، وفعل الطاعات، ووقاية الأهل بحملهم على ذلك بالنصح والتأديب" (5).

إن على عاتق العلماء عبء ثقيل، فهو المصابيح التي يهتدي بها الناس ويقتدون بها، لذلك وجب على الدعاة أن يكون على قدر مظنة الناس بهم، فعليهم إرشاد الناس وتبشيرهم وإنذارهم لما فيه صلاحهم، فلا يجوز للعالم الإنطواء على نفسه، ولا يبدي رأيه في مسائل تهم الأمة، فالملاحظ من بعض العلماء في هذه الأيام أيام الربيع العربي، الإنطواء على النفس وأخذ دور المحايد، بل البعض منهم وللأسف وقف مع الطغاة والظلمة، ولم يقد بواجب الأمانة التي ورثها عن السلف الصالح بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالعلماء هم ملح البلاد فإن فسدوا فسد العباد.

(1) ابن عطية: المحرر الوجيز (245\4).

(2) الرازي: التفسير الكبير (148\24).

(3) سورة التحريم: 6.

(4) الصنعاني: تفسير القرآن (303\3).

(5) الألويسي: روح المعاني (156\28).

المبحث الثالث: أم القرى (أهل مكة)

من المعلوم أن الله سبحانه وتعالى بعث نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم في أمة أمية، وخصهم بالندارة أولاً، وجعل مبتدأ هذه الدعوة في مكة قال الإمام الشوكاني معللاً الحكمة من تخصيصها بالندارة: "لكونها أعظم القرى شأناً ولكونها أول بيت وضع للناس، ولكونها قبلة هذه الأمة، ومحل حجهم فالإنذار لأهلها مستتبع لإنذار سائر أهل الأرض"⁽¹⁾.

وجاءت عدة آيات في كتاب الله تبين ذلك، منها، قوله تعالى: (وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقٌ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ)⁽²⁾.

قال ابن عطية: "وتقدير الآية لتنذر أهل أم القرى"⁽³⁾.

سميت بذلك لعدة وجوه :

الأول: قال الإمام الرازي رحمه الله " أنها منشأ الدين والشرع، ومنها ما روي أن الأرض منها دُحِيت⁽⁴⁾."

الثاني: قال الإمام ابن عطية رحمه الله " ومنها ما لحق عن الشرع من أنها قبلة كل قرية؛ فهي لهذا كله أم وسائر القرى بنات"⁽⁵⁾.

الثالث: وقال الزجاج رحمه الله: "وَأُمُّ الْقُرَى مكة سميت أُمَّ الْقُرَى؛ لأنها كانت أعظم القرى شأناً"⁽⁶⁾.

⁽¹⁾ الشوكاني: فتح القدير (2/139).

⁽²⁾ سورة الأنعام: 92.

⁽³⁾ ابن عطية: المحرر الوجيز (2/882).

⁽⁴⁾ هذا قول ابن عباس، انظر: الرازي: التفسير الكبير (13/67).

⁽⁵⁾ ابن عطية: المحرر الوجيز (2/882).

⁽⁶⁾ الزجاج: معاني القرآن (2/271).

فمكة هي خير بقاع الأرض، وأحبها الى الله، ودليل ذلك ما رواه " عن عبد الله بن عدي بن حمراء الزهري⁽¹⁾ قال: رأيت رسول الله ﷺ واقفاً على الحزورة فقال: والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ولو لنا أني أخرجت منك ما خرجت⁽²⁾.

ومن رحمة الله سبحانه وتعالى أنه لا يترك أمة من الأمم دون إنذار، لذلك جاءت دعوة الرسول صلى الله عليه لأهل مكة؛ لإقامة الحجة عليهم؛ حتى لا يكون لهم عذر يحتجون به على الله عز وجل، قال تعالى: (وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ)⁽³⁾.

وقوله تعالى: (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ)⁽⁴⁾.

ووصف الله سبحانه وتعالى أهل مكة بأنهم لم يأتيهم نذير ورسول من قبل محمد صلى الله عليه وسلم، وهذا الكلام ليس على إطلاقه فلا يعقل أن يترك الله سبحانه وتعالى أمة من الأمم دون أن يبعث لهم من ينذرهم ويهديهم الطريق المستقيم وقد قال الله سبحانه وتعالى: (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ)⁽⁵⁾، وإنما المراد هو "أن الله تعالى أجرى عادته على أن أهل عصر إذا ضلوا بالكلية ولم يبق فيهم من يهديهم يُلطف بعباده ويرسل

⁽¹⁾ عبد الله بن عدي بن حمراء القرشي الزهري من أنفسهم، وقيل: إنه تقي حليف لهم، يكنى أبا عمر وقيل: أبو عمرو، له صحبة وهو من أهل الحجاز وكان ينزل بين قديد وعسفان. انظر: ابن الأثير: أسد الغابة (342/3).

⁽²⁾ الترمذي: سنن الترمذي، كتاب كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب في فضل مكة. الحديث (3925). (722/5). قال أبو عيسى الترمذي هذا حديث حسن غريب صحيح وقال عنه الألباني: إسناده صحيح. انظر: الألباني: محمد بن ناصر: السلسلة الصحيحة. 7 مج بدون ط. الرياض: مكتبة المعارف (356/6). وابن ماجه محمد بن يزيد: سنن ابن ماجه. 2 مج. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. بدون ط. بيروت: دار الفكر. كتاب المناسك، باب فضل مكة، الحديث (3108)(1037/2).

⁽³⁾ سورة القصص: 46.

⁽⁴⁾ سورة السجدة: 3.

⁽⁵⁾ سورة فاطر: 24.

رسولاً، ثم إنه إذا أراد طهرهم بإزالة الشرك والكفر من قلوبهم، وإن أراد طهر وجه الأرض بإهلاكهم، ثم أهل العصر ضلوا بعد الرسل حتى لم يبق على وجه الأرض عالم هاد ينتفع بهدايته قوم، وبقوا على ذلك سنين متطاولة فلم يأتيهم رسول قبل محمد -عليه الصلاة والسلام- فقال: (لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ)⁽¹⁾ أي بعد الضلال الذي كان بعد الهداية لم يأتيهم نذير⁽²⁾.

قال الإمام الرازي: "لو قال قائل التخصيص بالذكر يدل على نفي ما عداه فقوله: (لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ) يوجب أن يكون إنذاره مختصاً بمن لم يأتيه نذير لكن أهل الكتاب قد أتاهم نذير فلا يكون الكتاب منزلاً إلى الرسول لينذر أهل الكتاب، فلا يكون رسولاً إليهم نقول هذا فاسد من وجوه أحدها: أن التخصيص لا يوجب نفي ما عداه.

والثاني: أنه وإن قال به قائل لكنه وافق غيره في أن التخصيص إن كان له سبب غير نفي ما عداه لا يوجب نفي ما عداه، وههنا وجد ذلك لأن إنذارهم كان أولى... لأن إنذارهم كان بالتوحيد والحشر، وأهل الكتاب لم يندروا إلا بسبب إنكارهم الرسالة، فكانوا أولى بالذكر فوقع التخصيص لأجل ذلك.

الثالث: هو أن على ما ذكرنا لا يرد ما ذكره أصلاً، لأن أهل الكتاب كانوا قد ضلوا ولم يأتيهم نذير من قبل محمد بعد ضلالهم فلزم أن يكون مرسلًا إلى الكل على درجة سواء، وبهذا يتبين حسن ما اخترناه⁽³⁾.

وكثرة الآيات التي جاءت في كتاب الله تبين عموم رسالة المصطفى - صلى الله عليه وسلم - هي خير رد على هذه الشبهة.

وخص الله سبحانه وتعالى أهل مكة بالإنذار، ونعتهم بأنهم قومٌ لُدٌّ، قال تعالى: (فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلسَانِكَ لِيُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَنُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا)⁽⁴⁾، "والألد: الخصم الشديد التأبي، وجمعه

⁽¹⁾ سورة السجدة: 46.

⁽²⁾ الرازي: التفسير الكبير (145\25).

⁽³⁾ المرجع السابق (146\25).

⁽⁴⁾ سورة مريم: 97.

لُدُّ... وأصل الألد الشديد اللُدُّ، أي صفحة العنق، وذلك إذ لم يمكن صرفه عما يريده وفلان يتلُدُّ أي يتلَفَّت " (1).

فمعنى قوله تعالى: **وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا** أي: "ولتندر بهذا القرآن عذاب الله قومك من قريش؛ فإنهم أهل لد وجدل بالباطل لا يقبلون الحق" (2).

"واللُد: الشداد الخصومة بالباطل، الآخذون في كل لديد أي في كل شق من المراء والجدال لفرط لجاجهم (3)، يريد أهل مكة" (4).

ليس المقصود أهل مكة بعمومهم وإنما من كفر بمحمد صلى الله عليه وسلم فمن أهل مكة من آمن بالرسول صلى الله عليه وسلم - ونصر دعوته .

وفي الحديث: عن رسول الله صلى الله عليه وسلم -: **"أبغض الرجال إلى الله تعالى الألد الخصم"** (5).

فالرسول صلى الله عليه وسلم أمر بإنذار أهل بلده وهم أهل مكة ، ودعوتهم لتترك عبادة الأصنام والأوثان وفي هذا دلالة أنه لا بد للمسلم أن يبدأ بمن حوله من أهل بيته ثم أهل بلده ، فلأقرب أولى بالإنذار ، وهذا لا يمنع من دعوة الناس عامة لدين الله ، فالمسلم الفطن يبذل الجهد في إرشاد أهله وتربية أبنائه على المنهج السليم، حتى إذ نشأ الأبناء نشأوا على طاعة الله، فالملاحظ أن الأب المربي الذي يبذل الجهد في تربية أبنائه يخرج للمجتمع أولاداً صالحين، ينهضون بمجتمعهم ودينهم، وعلى النقيض من ذلك من يشغل عن أبنائه بملاذات الحياة وزينتها، يخرج للمجتمع أولاداً عالة لا ينفعون ولا ينتفعون.

¹ الراغب: المفردات، كتاب اللام. (ص 449).

² الطبري: جامع البيان (16\133).

³ لج في الأمر: تهادى عليه، وأبى أن ينصرف عنه. انظر: ابن منظور: لسان العرب (2\354).

⁴ الزمخشري: الكشاف (49\3).

⁵ البخاري: الجامع الصحيح، كتاب المظالم، باب قول الله تعالى وهو اللُدُّ الخِصَامُ، الحديث (2325) (867\2).

المبحث الرابع: الظالمون

لقد توعد الله سبحانه وتعالى الظالمين بالعذاب، وخصهم بالندارة فقال تعالى: (وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانِ عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِّلْمُحْسِنِينَ) (1)، " أي لينذر الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعصية" كما يقول الإمام القرطبي (2).

والظلم أنواع: -

فأما النوع الأول وهو: ظلم الإنسان لنفسه بالشرك، وهذا أعظم أنواع الظلم، والذي جاء في قوله تعالى: (وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانِ عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِّلْمُحْسِنِينَ) (3).

وقد فسر النبي صلى الله عليه وسلم ظلم النفس بالشرك، ومن ذلك ما خرجه الإمام البخاري من طريق الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، قال: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ آيَةُ: (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ) (4) شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ وَقَالُوا: أَيُّنَا لَمْ يَظْلَمْ نَفْسَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَيْسَ كَمَا تَظُنُّونَ، إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ: (يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) (5) (6).

قال ابن عاشور عند تفسيره للآية الكريمة: "وجملة (إن الشرك لظلم عظيم) (7) تعليل للنهي عنه وتهويل لأمره، فإنه ظلم لحقوق الخالق، وظلم المرء لنفسه إذ يضع نفسه في حضيض العبودية لأخس الجمادات، وظلم لأهل الإيمان الحق إذ يبعث على اضطهادهم وأذاهم، وظلم لحقائق الأشياء بقلبها وإفساد تعلقها" (8).

(1) سورة الأحقاف: 12.

(2) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (16\191).

(3) سورة لقمان: 13.

(4) سورة الأنعام: 82.

(5) سورة لقمان: 13.

(6) البخاري: الجامع الصحيح، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب ما جاء في المتأولين، الحديث 6538 (6\2542).

(7) لقمان: 13.

(8) ابن عاشور: التحرير والتنوير (21\155).

قال ابن عادل رحمه الله: "والشرك هو ظلم للنفس أيضاً لأن الإنسان بشركه بالله قد ظلم نفسه المكرمة عندما وضعها في عبادة خسيصة (1)".

والشرك بالله هو أعظم أنواع الظلم وأقبحها، والله سبحانه وتعالى توعد المشركين بالعذاب الأليم، ووصف الشرك بالضللال البعيد والذنب العظيم الذي لا يُغفر، قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا) (2).

وأما النوع الثاني: ظلم الإنسان لنفسه بالمعاصي والذنوب، قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا) (3)، ظلموا أنفسهم" معناه بالمعصية والنفاق، ونقصها حظها من الإيمان" (4).

أما النوع الثالث: ظلم الإنسان لغيره في نفس أو مال أو عرض، وقد نهى الله سبحانه وتعالى عن هذا النوع من الظلم، فجاء في الحديث القدسي عن أبي ذر رضي الله عنه (5) "عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا..." (6).

وجميع أنواع الظلم هذه حرمها الشرع وخوف منها، وأندر من يقع فيها، بدرجات متفاوتة، وعلى المسلم أن يتجنب الظلم بشتى أنواعه، حتى ينجو بنفسه من عقاب الله وعذابه.

¹ انظر: ابن عادل: الباب في علوم الكتاب (445\15).

² سورة النساء: 116.

³ سورة النساء: 64.

⁴ ابن عطية: المحرر الوجيز (742).

⁵ جُنْدُبُ بْنُ جُنَادَةَ بْنِ سَفِيَانَ بْنِ عَبْدِ بْنِ حَرَامِ بْنِ غِفَارِ بْنِ مَلَيْلِ بْنِ ضَمْرَةَ أَسْلَمَ وَالنَّبِيُّ بِمَكَّةَ أَوَّلَ الْإِسْلَامِ، فَكَانَ أَرْبَعًا أَرْبَعَةً، وَقِيلَ: خَامِسَ خَمْسَةَ، وَتَوَفَّى أَبُو ذَرٍّ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ بِالرِّيْذَةِ، وَصَلَّى عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ. انظر: ابن الأثير: أسد الغابة (442- 440\1).

⁶ مسلم: صحيح مسلم، كتاب البرِّ والصَّلةِ وَالْأَدَابِ، بَابُ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ، الْحَدِيثُ (2577) (1994\4).

المبحث الخامس: أهل الكتاب (اليهود والنصارى)

لقد خص الله سبحانه وتعالى أهل الكتاب بالإذار في كتابه العزيز، وذلك عندما أنذرهم عذاباً شديداً، لوصفهم الله سبحانه وتعالى بأفح جرم ارتكبه حيث إنهم ادعوا أن الله ولداً، فاليهود قالوا عزير ابن الله، والنصارى قالوا عيسى ابن الله، قال تعالى: " (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرُ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ) (1) " وقولهم هذا ليس بعلم، وإنما تقليدٌ لكفار مكة الذين قالوا إن الملائكة بنات الله.

والافتراء على الله أن له ولداً قول منكر عظيم كما قال تعالى: (وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا * وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا * إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا) (2).

"قوله تعالى: (لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا) رد لمقاتلهم الباطلة وتهويل لأمرها بطريق الالتفات من الغيبة إلى الخطاب المنبئ - كما السخط وشدة الغضب - المفصح عن غاية التشنيع والتقبيح وتسجيل عليهم بنهاية الوقاحة والجهل والجرأة " (3).

فهؤلاء الذين ادعوا الله ولداً خصهم الله سبحانه وتعالى بالندارة، فقال تعالى: (وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا * مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا) (4)، يقول ابن عطية: "أهل هذه المقالة هم بعض اليهود في عزير والنصارى في المسيح وبعض العرب في الملائكة" (5).

(1) سورة التوبة: 30.

(2) سورة مريم: 88-95.

(3) انظر: الألويسي: روح المعاني (139\16).

(4) سورة الكهف: 4-5.

(5) ابن عطية: المحرر الوجيز (495\3).

فهذه الآية معطوفة على آية قبلها وهي قوله تعالى: (قِيَمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا)(1).

وقد علل الإمام الشوكاني مجيئ الآيات متتابعة ذاكراً المناسبة بينها عند تفسيره للآيات الكريمة قائلاً "فذكر سبحانه أولاً قضية كلية؛ وهي إنذار عموم الكفار، ثم عطف عليها قضية خاصة هي بعض جزئيات تلك الكلية تنبيهاً على كونها أعظم جزئيات تلك الكلية، فأفاد ذلك أن نسبة الولد إلى الله سبحانه أفصح أنواع الكفر"(2).

وقد أنذر الله سبحانه وتعالى الذين كفروا، وقالوا إن الله ثالث ثلاثة قال تعالى: (وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا * مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا) (3) قال الإمام الطبري عند تفسيره للآية الكريمة " يقول الله تعالى ذكره مكذبا لهم فيما قالوا من ذلك، وما من إله إلا إله واحد، يقول ما لكم معبود أيها الناس إلا معبود واحد، وهو الذي ليس بوالد لشيء ولا مولود بل هو خالق كل والد ومولود"(4).

وإنذار أهل الشرك والنصارى واليهود لإقامة الحجة عليهم ولبیان ما هم عليه من الضلال، بجرأتهم على الله وادعائهم أن الله ولداً، وفي هذا الإنذار تحذير للمسلمين من اتباع هؤلاء القوم، فالناظر في حال بعض المسلمين اليوم يتبعون عادات وتقاليد اليهود والنصارى في أفراحهم وأحزانهم، فكثرت المعاصي في الأعراس والبدع في بيوت العزاء، فأصبحت التكاليف لا تطاق من هذه العادات القبيحة التي استوردها المسلمون من الغرب، فكثرت نسب العنوسة وكثرت حالات الطلاق في المجتمعات المسلمة، وما ذلك إلا من تلك العادات القبيحة المستوردة، فلو اتبع المسلمون اليوم نهج المصطفى - صلى الله عليه وسلم - لنهضوا بمجتمعهم، ولسادوا الأمم مثلما سادها سلفهم الصالح .

(1) سورة الكهف: 2.

(2) الشوكاني: فتح القدير (269\3)

(3) سورة المائدة: 72.

(4) الطبري: جامع البيان (313\6).

المبحث السادس: الناس جميعاً

لقد كانت رسالات الرسل عليهم السلام لأقوامهم خاصة، بمعنى أن كل رسول مكلف بتبليغ قومه، أو من أرسل فيهم، حتى أرسل الله سبحانه وتعالى محمداً -صلى الله عليه وسلم- وجعله خاتماً لهؤلاء الرسل من قبله، فكانت بعثته -صلى الله عليه وسلم- تتميز عن تلك الرسالات التي سبقتها، حيث كانت الرسالات السابقة خاصة، ورسالة المصطفى -صلى الله عليه وسلم- عامة للناس جميعاً، بل تعدت دعوته إلى الجن كما سأوضح في المبحث القادم بإذن الله.

والأدلة التي تبين عموم رسالته -صلى الله عليه وسلم- من كتاب الله، ومن السنة النبوية كثيرة فمن الكتاب جاء قوله تعالى: (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكُمْ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا)⁽¹⁾، وقوله تعالى مخاطباً سيدنا محمداً -صلى الله عليه وسلم-: (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا)⁽²⁾، أي "قل يا محمد للناس كلهم إني رسول الله إليكم جميعاً لا إلى بعضكم دون بعض كما كان من قبلي من الرسل مرسلًا إلى بعض الناس دون بعض، فمن كان منهم أرسل كذلك، فإن رسالتي ليست إلى بعضكم دون بعض، ولكنها إلى جميعكم"⁽³⁾.

ومن عموم رسالته صلى الله عليه وسلم دعوته للعرب الذين بعث فيهم، ودعوته لأهل الكتاب اليهود والنصارى، ولقد رتب على من يكفر به نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها، قال تعالى: (وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مَرِيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ)⁽⁴⁾.

ومن الأدلة على عموم بعثته -صلى الله عليه وسلم- من السنة قوله -صلى الله عليه وسلم- في الحديث الذي رواه أبو هريرة: "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتِّ أُعْطِيتُ

⁽¹⁾ سورة النساء: 79.

⁽²⁾ سورة الأعراف: 158.

⁽³⁾ الطبري: جامع البيان (869).

⁽⁴⁾ سورة هود: 17.

جَوَامِعِ الْكَلِمِ وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ وَجَعَلْتَ لِي الْأَرْضَ طَهْرًا وَمَسْجِدًا وَأَرْسَلْتُمْ
إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً وَخْتَمَ بِي النَّبِيُّونَ" (1).

وكذلك ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه "أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ كَتَبَ إِلَى كِسْرَى وَإِلَى قَيْصَرَ
وَإِلَى النَّجَاشِيِّ وَإِلَى كُلِّ جَبَّارٍ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَكَيْسَ بِالنَّجَاشِيِّ الَّذِي صَلَّى عَلَيْهِ النَّبِيُّ
ﷺ" (2).

فلأن الرسول صلى الله عليه وسلم كانت دعوته عامة للخلق أجمعين، فهو منذر لهم جميعاً قال
تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) (3).

والآيات التي تتحدث عن إنذار النبي صلى الله عليه وسلم كثيرة لا يتسع المقال لذكرها، وكل
تلك الآيات توضح أمراً في غاية الأهمية وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم - هو منذر لكل
الناس إلى يوم القيامة فمن آمن به واتعظ بإنذاراته فاز وأفلح، ومن كفر به وأعرض عن
مواعظه خسر وهلك ، والناس جميعاً مُنذَرين.

¹مسلم: صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواقع الصلوة. (الحديث 523). (371\1).
²مسلم: صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير باب كتب النبي ﷺ إلى ملوك الكفار يدعواهم إلى الله عز
وجل. (الحديث 1774). (1397\3). "أما كسرى فبفتح الكاف وكسرها وهو لقب لكل من ملك من ملوك الفرس
وقيصر لقب من ملك الروم والنجاشي لكل من ملك الحبشة وخابان لكل من ملك الترك وفرعون لكل من ملك
القيبط والعزير لكل من ملك مصر وتبع لكل من ملك حمير وفي هذا الحديث جواز مكاتبة الكفار ودعواهم إلى
الإسلام والعمل بالكتاب وبخبر الواحد والله أعلم. انظر النووي: شرح النووي على صحيح مسلم (113\12).
³ سورة سبأ: 28.

المبحث السابع: الجن

لقد بعث الله سبحانه وتعالى نبيه محمداً ﷺ إلى الثقلين؛ الإنس والجن، والجن كالإنس مكلفون فمنهم المؤمن ومنهم الكافر، فهم منذرون حالهم كحال الإنس، قال تعالى: (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا) (1) " والمراد بالعالمين هنا الإنس والجن كما يقول الإمام القرطبي: "لأن النبي ﷺ قد كان رسولاً إليهما، ونذيراً لهما" (2).

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يجتمع بالجن، ويقرأ عليهم القرآن وينذرهم ويرشدهم، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال "كنا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة ففقدناه فالتمسناه في الأودية والشعاب فقلنا استطير أو اغتيل قال فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل حراء قال فقلنا: يا رسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فقال آتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن قال: فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم وسألوه الزاد فقال لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحمًا وكل بكرة علف لدوابكم فقال رسول الله ﷺ فلا تستنجوا بهما فإنهما طعام إخوانكم" (3).

والدليل على أن النبي ﷺ أذر الجن أيضاً؛ ما جاء على لسانهم في سورة الأحقاف وسورة الجن، حيث دعاهم الرسول صلى الله عليه وسلم وسمعوا منه القرآن، ثم رجعوا إلى قومهم منذرين بما أذروا به، قال تعالى: (وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ * قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ * يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (4).

(1) سورة الفرقان: 1

(2) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (2\13).

(3) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الصلاة. باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن، الحديث 450 (1\332).

(4) سورة الأحقاف: 29-32.

قال صاحب الظلال⁽¹⁾ عند تفسيره لهذه الآيات " هذا الشوط الأخير جولة جديدة في مجال القضية التي تعالجها السورة؛ فسياقة قصة النفر من الجن الذين استمعوا لهذا القرآن فتنادوا بالإنصات واطمأنت قلوبهم إلى الإيمان وانصرفوا إلى قومهم منذرين يدعونهم إلى الله ويبشرونهم بالغفران والنجاة ويحذرونهم الإعراض والضلال سياقة الخبر في هذا المجال بهذه الصورة وتصوير مس القرآن لقلوب الجن هذا المس الذي يتمثل في قولهم (أُنصتوا) عندما طرق أسماعهم يتمثل فيما حكوه لقومهم عنه وفيما دعوهم إليه كل هذا من شأنه أن يحرك قلوب البشر الذين جاء القرآن لهم في الأصل وهو إيقاع مؤثر ولا شك يلفت هذه القلوب لفتة عنيفة عميقة"⁽²⁾.

فهذه الآيات دعوة للنهوض بالدعوة وترك الحجج الواهية بالتناقل والتقاعس عن نصرة هذا الدين وتبشير الناس بما عند الله وإنذارهم بسخطه وعقابه فالمسلم مكلف بتبليغ دين الله وعدم الركون إلى الدعة والراحة.

وأخيراً: فتلك الأصناف السبعة خصها الله سبحانه وتعالى بالندارة في كتابه العزيز فلقد خص القرآن الكريم المؤمن والقريب، وأهل مكة والظالمين وأهل الكتاب والناس جميعاً وكذلك الجن، حتى لا يكون لأحد حجة يحتج بها على الله .

فعلى المسلم اليوم النظر بعين التبصر في هذه الأصناف ويتأمل فيها، حتى يأخذ الحيطة والحذر من عقاب الله وسخطه، فالأصناف هذه تشمل أطياف المجتمع مؤمنهم وكافرهم ، وما خصصته هذه الآيات من أصناف لأهميتها، فالظلمة اليوم كثيرون لا بد من إنذارهم وتخويفهم من مصارع الظالمين الذين خلو من قبلهم.

¹ سيد قطب بن إبراهيم: مفكر إسلامي مصري، من مواليد قرية (موشا) في أسيوط تخرج بكلية دار العلوم (بالقاهرة) سنة 1353 هـ (1934 م) وعمل في جريدة الأهرام، وكتب في مجلتي (الرسالة) و (الثقافة) وعين مدرسا للعربية، فموظفا في ديوان وزارة المعارف ولد سنة 1324هـ وتوفي سنة 1387هـ. انظر: الزركلي: الأعلام (1473).

² قطب، سيد قطب بن إبراهيم: في ظلال القرآن .6مج. ط34. دار الشروق: القاهرة2004هـ.(6ظ3269).

الفصل الخامس

موقف الكفار والمعاندين من النُّذُر

موقف الكفار والمعاندين من النذر

لقد بعث الله سبحانه وتعالى الرسل عليهم السلام منذرين ومبشرين إلى أقوامهم، وأنزل معهم الآيات والمعجزات المؤيدة لهم، والدالة على صدقهم، فمن الناس من آمن بهم، وصدق بما جاؤوا به، ورقت قلوبهم، وأخلصوا دينهم لله، ومن الناس من غرته الحياة الدنيا، وغلبته شقوته وأعجب بماله وولده وقوته وجاهه، فكفر بالرسول وعاداهم، ولم يأل جهداً في إيذائهم، وهذا الصنف من الناس؛ الذين كفروا بالرسول كانت لهم مواقف مع الرسل عليهم السلام جمعتها في هذا الفصل في سبعة مباحث، اجتهدت في استخراجها من نصوص الآيات الكريمة.

المبحث الأول: الاستكبار

إن أولى هذه المواقف والصفات الذميمة، والتي هي سبب كل المفساد، وأصل كل شقاء، والتي ذكرها الله سبحانه وتعالى في قصة خلق آدم عليه السلام، حيث أمر الله سبحانه وتعالى الملائكة بالسجود لآدم فسجدوا، إلا إبليس الذي رفض السجود لآدم عليه السلام، وعصى أمر الله عز وجل، ولم يكن هناك من سبب غير الكبر، قال تعالى: (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ)⁽¹⁾.

وقد عرف النبي صلى الله عليه وسلم الكبر، فقال عليه الصلاة والسلام: من رواية "عبد الله بن مسعود رضي الله عنه" ⁽²⁾ عن النبي ﷺ قال لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر قال رجل إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة قال إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس"⁽³⁾.

⁽¹⁾ سورة البقرة: 34.

⁽²⁾ عبد الله بن مسعود بن غافل بالغين المنقوطة والفاء ابن حبيب بن شمش ابن فار بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل ابن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر أبو عبد الرحمن الهذلي حليف بني زهرة وكان أبوه مسعود بن غافل قد حالف في الجاهلية عبد الله بن الحارث ابن زهرة. انظر: ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد: الاستيعاب في معرفة الأصحاب. 4مج. تحقيق: علي محمد الجاوي. ط1. بيروت: دار الجيل 1412هـ. (987/3).

⁽³⁾ مسلم صحيح مسلم. كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، الحديث (91). (93/1).

وَبَطَرُ الْحَقِّ هُوَ " أَنْ يَتَكَبَّرَ عَنِ الْحَقِّ وَلَا يَقْبَلَهُ"⁽¹⁾ وَغَمَطُ النَّاسِ هُوَ احْتِقَارُهُمْ⁽²⁾.

وفي الحديث إنذار لكل متكبر بل لكل من دخل الكبر قلبه بالحرمان من الجنة.

والكبر هو: "مانع إبليس من الانقياد للأمر، وهو داء الأولين والآخرين، إلا من عصم الله، وبه تخلف الإيمان عن اليهود الذين شاهدوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعرفوا صحة نبوته ومن جرى مجراهم⁽³⁾).

والاستكبار لم يكن في قصة خلق آدم وتكبر إبليس فحسب بل أصبح موقفاً وسبباً في كفر الأمم السابقة على امتداد العصور، وكان للكبر والاستكبار عواقب وخيمة على تلك الأمم التي تكبرت على دعوة الأنبياء والمرسلين فالكبر صفة ملازمة للأمم السابقة في مواجهة المنذرين، والشواهد على ذلك من القرآن كثيرة، أذكر منها الآتي:

أولاً: تكبر قوم نوح قال تعالى على لسان نوح عليه السلام: (وَإِنِّي كَلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا)⁽⁴⁾.

وحجة هؤلاء القوم الكبر؛ كما أخبر الله سبحانه وتعالى: (فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ أَتْبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّئِ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ)⁽⁵⁾.

وتكبرهم عن إتباع نوح عليه السلام يتضح بثلاثة أمور عابوها على نوح عليه السلام:

الأمر الأول: عابوا عليه أنه بشر مثلهم.

⁽¹⁾ ابن منظور: لسان العرب. (4/69).

⁽²⁾ انظر: ابن زكريا: معجم مقاييس اللغة (396/4).

⁽³⁾ ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر: مفتاح دار السعادة. 2 جزء. بدون ط. بيروت: دار الكتب العلمية (96/1).

⁽⁴⁾ سورة نوح: 7.

⁽⁵⁾ سورة هود: 27.

الأمر الثاني: أن أتباعه من الفقراء والمساكين، " وإنما استرذلوا المؤمنين لفقرهم وتأخرهم في الأسباب الدنيوية لأنهم كانوا جهالاً ما كانوا يعلمون إلا ظاهراً من الحياة الدنيا فكان الأشرف عندهم من له جاه ومال (1).

الأمر الثالث: أنه ليس له فضل عليهم.

ثانياً: تكبر قوم عاد حيث جاء قوله تعالى: (فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَحْحَدُونَ) (2).

ثالثاً: تكبر المملأ من قوم شعيب وقوله تعالى: (قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ) (3).

رابعاً: تكبر فرعون وقوله تعالى: (وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ) (4).

واكتفي بذكر هذه الشواهد، لكن المتدبر لآيات الله تعالى، والناظر فيها بعين التبصر، يجد أن استكبار الأمم السابقة عن اتباع الأنبياء والمرسلين كان لأسباب منها:

1 - استكبارهم بالمال والولد، واحتقار من ليس له مال ولا ولد، وذلك لاعتقادهم أن السلطان والجبروت يكون بذلك فكيف يتبعون من هو أقل منهم قوة ومالا وولداً لذلك وصف الله سبحانه وتعالى من يتكبرون عن اتباع الأنبياء بالمُتْرَفِينَ الذين أعطوا المال والولد في الحياة الدنيا قال

(1) الزمخشري: الكشاف (2/368).

(2) سورة فصلت: 15.

(3) سورة الأعراف: 88.

(4) سورة العنكبوت: 39.

تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ * وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ)(1).

2 استنكارهم بالسلطان السياسي والحكم فلا يقبلون أحداً فوقهم يأمرهم وينهاهم، لذلك نجد أن الردود منبعها السلطة المتنفذة، كقوله تعالى: (قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ)(2) والملاء هم رؤساء القوم وكبرائهم الذين هم ملاء بالرأي وبما يحتاج إليه منهم(3).

قال الإمام الزمخشري: "الملاء الأشراف من قولهم: فلان مليء بكذا إذا كان مطيقاً له وقد ملئوا بالأمر؛ لأنهم ملئوا بكفايات الأمور وأضلعوا بها وتبديروها، أو لأنهم يتمالئون أي أو لأنهم يتمالئون القلوب هيبة والمجالس أبهة أو لأنهم ملاء بالأحلام والآراء الصائبة(4).

وهذه الفئة لا يمكن لها أن تتبع من سيأخذ منهم القرار والرياسة فحبهم للرياسة جعلهم يتكبرون على تباع المرسلين والانقياد لدعوتهم .

لذلك توعد الله سبحانه وتعالى المتكبرين بالطبع على قلوبهم وحرمانهم من الإيمان بسبب كبرهم قال تعالى: (الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبِيرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ (5)).

وتوعد الله سبحانه وتعالى المتكبرين بالعذاب الأليم يوم القيامة والخلود في نار جهنم، وحرمانهم من الجنة، قال تعالى: (قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبئسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ)(6).

1 (سورة سبأ: 34-35).

2 سورة الأعراف: 88.

3 الزجاج: معاني القرآن (47\3).

4 الزمخشري: الكشاف (368\2).

5 سورة غافر: 35.

6 سورة الزمر: 72.

وقال تعالى: (وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشَّرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)(1).

وقال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَأَ تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلََّا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ)(2).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قال الله عز وجل: الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعِظْمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا فَذَفَّتُهُ فِي النَّارِ"(3).

ومما سبق يتضح أن الكبر كان صفة ملازمة للأمم السابقة، فاستكبارهم على دعوة الله، وتكبرهم على الرسل عليهم السلام، كان سبباً لحلول عقاب الله عليهم وتدميرهم، ومن اتصف بهذه الصفة الذميمة حُرِمَ جنة الله تعالى.

فمن تكبر على الله وعلى عباد الله أدله الله في الدنيا والآخرة، وليس ببعيد ما حل بالمتكبرين في هذه الأيام، الذين تكبروا على شرع الله وعلى عباد الله، فهؤلاء أدلهم الله سبحانه وتعالى، فأصبحوا عبرة لمن يعتبر.

لذلك يجب على المسلم التنبه والحذر من الكبر، لأن به يكون الشقاء فعلى المسلم التواضع لإخوانه، والإذعان لأوامر الله واتباع شرعه، فالحذر الحذر من ازدراء الناس واحتقارهم والتكبر عليهم حتى لا نفع بالمحذور، وننال سخط الله وعقابه.

¹ سورة لقمان:7.

² سورة الأعراف:40.

³ أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني: سنن أبي داود.4مج. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. بدون ط. دار الفكر . كِتَابُ اللَّبَاسِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الْكِبْرِ، الْحَدِيثُ (4090). (4/59). انظر بنحوه: مسلم: صحيح مسلم . كِتَابُ الْبِرِّ وَالصَّلَاةِ وَالْأَدَابِ، بَابُ تَحْرِيمِ الْكِبْرِ، الْحَدِيثُ (2620)(4/2023).

المبحث الثاني: التشبث بملة الآباء والأجداد.

لقد كان من حجج أو مبررات كفر الأمم السابقة ورفضهم لدعوة المنذرين ، تشبثهم بما عليه الآباء والأجداد، واحتجاجهم أن الحق الذي جاء به المنذرون مخالف لما عليه الآباء والأجداد، ومخالف لتقاليدهم وما تربوا عليه من العادات الاجتماعية.

فهذا الموقف من دعوة الأنبياء والمرسلين كان صفة ملازمة لهذه الأمم لذلك كان توجيه الله سبحانه وتعالى لنبيه أن لا يكثرث أو يعبأ بذلك الموقف المتكرر من دعوة الأنبياء والرسول، قال تعالى: (فَلَا تَكُ فِي مَرِيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمَوْفُوهُهُمْ نَصِيْبُهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ)(1).

فكل الأمم كانت تلك حجتهم، والتقليد مذهبهم، فلا يقبلون كل ما هو مخالف لدين الآباء، وهذا السبب هو الذي جعلهم يكفرون بالله، كما جاء عن ملكة سبأ، حيث قال تعالى: (وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ)(2).

فكونهم من قوم كافرين، يقلدون الآباء، فلا يعملون العقل الذي وهبهم الله إياه، ولا يشغلون فكراً، فهؤلاء يتعصبون لدين الآباء والأجداد، ويحذرون من مخالفتهم، ويعتبرون الارتداد عن دين الآباء جرماً عظيماً، وإثماً كبيراً، فأصبح الكفر وتقليد الآباء في حياتهم الدينية سمة بارزة في مجتمعاتهم، فأصبح يوصي بعضهم بعضاً بالكفر بكل جديد، قال تعالى: (وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤَكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرَى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ)(3) وإضافة الآباء إلى المخاطبين لا إلى أنفسهم لتحريك عرق العصبية منهم؛ مبالغة في تقريرهم على الشرك وتنفيرهم عن التوحيد(4).

(1) سورة هود: 109.

(2) سورة النمل: 43.

(3) سورة سبأ: 43.

(4) الألويسي: روح المعاني (152\22).

وهذا التعصب نفسه كان سبباً في كفر أبي طالب عم الرسول صلى الله عليه وسلم، وتشبثه بما كان عليه الآباء والأجداد، كما جاء في الحديث (لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلٍ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا عَمَّ قُلْ لَنَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ يَا أَبَا طَالِبٍ أترغبُ عن ملةِ عبدِ المطلبِ، فلم يزلْ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يعرضُها عليه ويُعيدُ له تلكَ المقالةَ حتى قال أبو طالبٍ آخِرَ ما كَلَّمَهُمْ هو على ملةِ عبدِ المطلبِ وأبى أن يقولَ لَنَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: أَمَا وَاللَّهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أَنُكِرْهُ مِنْكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ) (1) وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) (2)(3).

إن ذكر الله سبحانه وتعالى حجج تلك الأمم، وتشبثهم بما عليه الآباء والأجداد، إلا عبرة وموعظة لنا، فقد حذرنا الله سبحانه وتعالى من التقليد والاتباع الأعمى الذي يُفضي إلى الضلال ورد الحق، قال تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانِ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ) (4) ويشير أبو السعود إلى الفتنة ببلاغة وأسلوب القرآن الكريم وهو أسلوب الالتفات حيث يقول: "وفي ذلك دليل على قبح التقليد والمنع منه" (5) وفي الآية "الفتات إلى الغيبة تسجيلاً بكمال ضلالهم، وإيداناً بإيجاب تعداد ما ذكر من جنایاتهم؛ لصرف الخطاب عنهم وتوجيهه إلى العقلاء، وتفصيل مساوئ أحوالهم" (6).

(1) سورة التوبة: 113.

(2) سورة القصص: 56.

(3) مسلم: صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت ما لم يشرع في النزع وهو الغرغرة. الحديث 24. (541).

(4) سورة البقرة: 170.

(5) الشوكاني: فتح القدير (1671).

(6) أبو السعود: إرشاد العقل السليم (1881).

وقال تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ)(1).

وقال تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ)(2).

تفيد هاتان الآيتان أن الإنكار عليهم لسببين؛ أولهما: إبتاعهم لأفعال الآباء، وترك القول الحق، وثانيهما: هو أن الآباء يتبعون الشيطان بعبادتهم وهو يدعوهم إلى عذاب السعير بإتباعه، فكيف يُقلد من يصير مصيره إلى عذاب السعير.

قال الإمام الرازي عند تفسيره للآية " بَيَّنَّ أَنْ مَجَادَلَتَهُمْ مَعَ كَوْنِهَا مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ، فَهِيَ فِي غَايَةِ الْقَبِيحِ فَإِنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ كَلَامِ اللَّهِ وَهُمْ يَأْخُذُونَ بِكَلَامِ آبَائِهِمْ وَبَيْنَ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَىٰ وَكَلَامِ الْعُلَمَاءِ بُونَ عَظِيمٍ فَكَيْفَ مَا بَيْنَ كَلَامِ اللَّهِ وَكَلَامِ الْجُهْلَاءِ، ثُمَّ إِنَّ هَاهُنَا شَيْئًا آخَرَ وَهُوَ أَنَّهُمْ قَالُوا: بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا يَعْنِي نَتْرُكُ الْقَوْلَ النَّازِلَ مِنَ اللَّهِ وَنَتَّبِعُ الْفِعْلَ وَالْقَوْلَ أَدْلُ مِنَ الْفِعْلِ لِأَنَّ الْفِعْلَ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ جَائِزًا وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ حَرَامًا وَهُمْ تَعَاطَوْهُ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ وَاجِبًا فِي اعْتِقَادِهِمْ وَالْقَوْلُ بَيِّنُ الدَّلَالَةِ فَلَوْ سَمِعْنَا قَوْلَ قَائِلٍ أَفْعَلْ وَرَأَيْنَا فَعْلَهُ يَدُلُّ عَلَىٰ خِلَافِ قَوْلِهِ لَكَانَ الْوَاجِبُ الْأَخْذَ بِالْقَوْلِ فَكَيْفَ وَالْقَوْلُ مِنَ اللَّهِ وَالْفِعْلُ مِنَ الْجُهَالِ ثُمَّ قَالَ تَعَالَىٰ أَوْ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ اسْتَفْهَامًا عَلَىٰ سَبِيلِ التَّعْجِيبِ فِي الْإِنْكَارِ، يَعْنِي الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ الْعَذَابِ، وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ الثَّوَابِ، وَهُمْ مَعَ هَذَا يَتَّبِعُونَ الشَّيْطَانَ"(3).

فتقليدهم هذا كان في الاعتقاد حيث إنهم تركوا شرع الله وعبادته وحده واتبعوا آباءهم وأجدادهم في عبادتهم للأوثان.

وإن من أشد أنواع التقليد جرماً؛ هو تقليد الآباء والأجداد في المعاصي التي تخالف الفطرة، وتبرير فعل تلك الفواحش والمعاصي أنها مما وجدوا عليه الآباء، بل تجاوزوا الحد بادعائهم أن هذه الفواحش أمرهم الله بفعلها، قال تعالى: (وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا

(1) سورة المائدة: 104.

(2) سورة لقمان: 21.

(3) الرازي: التفسير الكبير (134/25).

وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ(1) " ذكر تعالى في هذه الآية الكريمة أن الكفار إذا فعلوا فاحشة، استدلوا على أنها حق وصواب، بأنهم وجدوا آباءهم يفعلونها، وأنهم ما فعلوها، إلا لأنها صواب ورشد " (2)، وأن الله أمرهم أن يفعلوها وحاشا لله أن يأمر بالمعصية، فهذا افتراء على الله وتقول على الله من غير علم ولا حجة، فالله سبحانه وتعالى ما أمر بشيء وما نهى عن شيء إلا فيه خير للعباد، فحرم الفواحش لما فيها من الضرر على الدين أو العقل أو النسب أو النفس أو المال .

وذكر الله سبحانه وتعالى، ووصف حال التابعين وحال المتبعين يوم القيامة، حيث يتبرأ الذي أتبعوا من الذين أتبعوا، فكان مصير كلا الفريقين في النار، قال تعالى: (إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ * وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّنَا كَرَّرْنَا فَنَتَّبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأْنَا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ)(3).

فهذا الموقف كانت عليه جميع الأمم السابقة، وكان مدار احتجاجهم على المنذرين، لذلك ذكره الله سبحانه وتعالى مواساة لنبيه صلى الله عليه وسلم، إذ إن هذا الموقف هو داء قديم اشتركت فيه كل الأمم، وذكره الله سبحانه وتعالى أيضاً؛ موعظة لكل ذي عقل سليم، وأن كل من يحكم هواه وعصبيته، فيقلد من غير علم ولا بصيرة؛ فإن مصيره مصير تلك الأمم .

فتقليد الآباء والأجداد والزملاء ليس دليلاً على سداد الرأي وصحة المنهج والاعتقاد، وما نشاهده اليوم من إتباع للأحزاب العلمانية والشيعوية التي تخالف الشريعة ، وادعاء من يتبعها أنها طريق الآباء والأجداد لهو من التقليد الأعمى التي حذرنا الله منه ، بل إن من أتباع التيارات الإسلامية، بل من علماء تلك الحركات من يتعصب لرأي تلك الأحزاب تعصباً أعمى غير قائم على دليل شرعي .

فعلى المسلم الإقتداء بسيد الخلق أجمعين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، والسير على منهاج السلف الصالح بإقامة دين الله وتحكيم شريعته في أمور الناس وحياتهم، لأنه لا عزة لنا إلا بهذا الدين، ولا فخر لنا إلا به .

(1) سورة الأعراف:28.

(2) الشنقيطي:أضواء البيان (12\2).

(3) سورة البقرة:166\167.

المبحث الثالث: التكذيب بالندب

إن النبوة هي منةٌ واصطفاء من الله سبحانه وتعالى يختار لها من يشاء من عباده؛ لدعوة الناس وتبليغهم دين الله، وإنذارهم عقابه وتبشيرهم بجنته، لذلك فإن أولى الصفات التي يجب أن يتصف بها المُنذرين الصدق، ولا بد أن يكون متصفاً بها، سواء كان ذلك قبل البعثة أو بعدها ليصدقها الناس بما يقول، قال تعالى في وصف إبراهيم عليه السلام: (وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا) (1) وقال تعالى في وصف إسماعيل -عليه السلام-: (وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا) (2)، وكان العرب قبل الإسلام وفي الجاهلية يلقبون النبي صلى الله عليه وسلم بالصادق الأمين.

ومع هذا كله اتفقت أقوام من الأمم السابقة على اتهام الأنبياء بالكذب وهم لم يعهدوا عليهم الكذب، قال تعالى: (ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى كُلٌّ مَّا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبِعَدَا لِقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ) (3)، أي "وأرسلنا إليهم رسلا متتابعة، لعلمهم يؤمنون ويبينون، فلم يزل الكفر والتكذيب، دأب الأمم العصاة، والكفرة البغاة، كلما جاء أمة رسولها، كذبوه، مع أن كل رسول يأتي من الآيات ما يؤمن على مثله البشر، بل مجرد دعوة الرسل وشرعهم، يدل على حقيته ما جاؤوا به" (4).

ولقد ذكر الله سبحانه وتعالى حال تلك الأمم المكذبة لرسولها؛ لتكون تلك القصص عبرة وعظة لنا ولمن جاء بعدهم من أجل التجنب والحذر من سلوكهم ومن موقفهم من رسولهم، قال تعالى عن قوم نوح عليه السلام: (فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ) (5).

(1) سورة مريم: 41.

(2) سورة مريم: 54.

(3) سورة المؤمنون: 44.

(4) السعدي: تيسير الكريم الرحمن (552\1).

(5) سورة الأعراف: 64.

وتوعد الله سبحانه وتعالى المكذبين بشكل عام، قال تعالى: (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ)⁽¹⁾، بل وجعل الله سبحانه وتعالى تكذيب رسول واحد تكذيباً لجميع الرسل، فمن كفر برسول كفر بجميع الرسل قال تعالى: (كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ)⁽²⁾ وإنما كذبوا رسولاً واحداً أول الرسل، ولم يكن قبله رسول، وهم أول المكذبين، وإنما جُمع لأن تكذيبهم لم يكن لأجل ذاته، ولكنه كان لإحالتهم أن يرسل الله بشراً، وأن تكون عبادة أصنامهم ضلالاً فكان تكذيبهم إياه مقتضياً تكذيب كل رسول؛ لأن كل رسول يقول مثل ما قاله نوح عليه السلام⁽³⁾.

فلا بد من الحذر من تكذيب الرسل، ومن مخالفتهم ومعصيتهم لأن في تكذيبهم تكديماً لله، وفي معصيتهم معصية لله، وفي معاداتهم معادة لله جل وعلا.

فالواجب إتباع الرسل لا تكذيبهم لأنه بطاعتهم طاعة لله، ونحن مأمورون بذلك قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)⁽⁴⁾.

ولقد بين عليه الصلاة والسلام وجوب الإتيان في الحديث فيما رواه الإمام البخاري من حديث الصحابي الجليل أبي هريرة "أنه سمع رسول الله ﷺ يقول نحن الآخرون السابقون وبهذا الإسناد من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني ومن يعص الأمير فقد عصاني وإنما الإمام جنة يُقاتل من ورآه ويتقى به فإن أمر بتقوى الله وعدل فإن له بذلك أجراً وإن قال بغيره فإن عليه منه"⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ سورة المرسلات: 15.

⁽²⁾ سورة الشعراء: 105.

⁽³⁾ ابن عاشور: التحرير والتنوير (157\19).

⁽⁴⁾ سورة النساء: 59.

⁽⁵⁾ البخاري: الجامع الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب يُقاتل من ورآه الإمام ويتقى به، الحديث (2797). (1080\3).

وذكر الله سبحانه وتعالى مخاطباً نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم ، مواسياً له ، أن لا تجزع يا محمد من تكذيب قومك لك ، فلقد كذب رسل من قبلك ، فجاءهم نصر الله بعدما صبروا على ما كذبوا وأوذوا قال تعالى: (وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الْأُمْرُسَلِينَ⁽¹⁾).

قال الإمام الطبري: "وهذا تسلية من الله تعالى ذكراً لنبيه محمد ﷺ وتعزية له عما ناله من المساءة بتكذيب قومه إياه على ما جاءهم به من الحق من عند الله، يقول تعالى إن يكذبك يا محمد هؤلاء المشركون من قومك، فيجحدوا نبوتك وينكروا آيات الله أنها من عنده، فلا يحزنك ذلك واصبر على تكذيبهم إياك وما تلقى منهم من المكروه في ذات الله حتى يأتي نصر الله فقد كذبت رسل من قبلك أرسلتهم إلى أممهم، فنالوهم بمكروه فصبروا على تكذيب قومهم إياهم ولم يثبهم ذلك من المضي لأمر الله الذي أمرهم به من دعاء قومهم إليه حتى حكم الله بينهم وبينهم ولا مبدل لكلمات الله ولا مغير لكلمات الله"⁽²⁾.

والناظر في كتاب الله سبحانه وتعالى يجد أن تكذيب تلك الأمم الخالية لرسولها كان له أسباب ودوافع، من أهم هذه الأسباب:-

1 - الكبر، وهذا السبب من أهم الأسباب التي جعلت تلك الأمم تكذب الرسل عليهم السلام، قال تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ)⁽³⁾.

2 - اتباع الهوى، قال تعالى: (لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا قُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ)⁽⁴⁾ "يعني بما يخالف أهواءهم، ويضاد شهواتهم من ميثاق التكليف، والعمل بالشرائع"⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ سورة الأنعام:34.

⁽²⁾ الطبري:جامع البيان (183\7).

⁽³⁾ سورة البقرة:87.

⁽⁴⁾ سورة المائدة:70.

⁽⁵⁾الزمخشري:الكشاف (694\1). وانظر: الخازن: لجام التناويل (76\2).

وإتباع الهوى هو من الأسباب التي تصرف الإنسان عن إتباع الحق، قال شيخ الإسلام ابن تيمية⁽¹⁾ "فإن الحق إذا ظهر صار معلوماً بالضرورة والآيات والدلائل الظاهرة تدل على لوازمها بالضرورة، لكن إتباع الهوى يصد عن التصديق بها وإتباع ما أوجبه العلم بها وهذه حال عامة المكذبين؛ مثل مكذبي محمد وموسى عليهما السلام - وغيرهما، فإنهم علموا صدقهما علماً يقينياً لما ظهر من آيات الصدق ودلائله الكثيرة، لكن إتباع الهوى صد، قال تعالى: (فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ)⁽²⁾.

وإتباع الهوى أساس الضلالة، فما صد الأمم السابقة عن إتباع الحق إلا إتباع الهوى، والناظر في حال الأمة اليوم وما فيها من مخالفات لدين الله إلا إتباع الهوى، بل إن الكارثة الكبرى أنك تجد أن بعض العلماء وطلبة العلم الشرعي يؤثرون هواهم على دين الله، فتجد بعضهم يفتي للناس بخلاف شرع الله، ويساند الرؤساء والحكام مدعياً بذلك الصواب، وما ذلك إلا إتباع للهوى.

3 - الجدل بالباطل، قال تعالى: (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ)⁽³⁾.

يقول الإمام الطبري في تفسيره الآية الكريمة: "قص الله سبحانه وتعالى على رسوله ﷺ "قصص الأمم المكذبة رسلها، وأخبره أنهم كانوا من جدالهم لرسله على مثل الذي عليه قومه الذين أرسل إليهم، وإنه أحل بهم من نعمته عند بلوغهم أمدهم بعد إغذار رسله إليهم وإنذارهم بأسه ما قد

⁽¹⁾ أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن تيمية الحراني ثم الدمشقي الحنبلي تقي الدين أبو العباس بن شهاب الدين ابن مجد الدين ونظر في الرجال والعلل ونفقه وتمهر وتميز وتقدم وصنف ودرس وأفتى وفاق الأقران وصار عجبا في سرعة الاستحضار وقوة الجنان والتوسع في المنقول والمعقول ولد في عاشر ربيع الأول سنة 661هـ وتوفي سنة 728هـ. انظر: ابن حجر، أحمد بن علي: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة. 6 مج. تحقيق: محمد عبد المعيد ضان. ط1. الهند: مجلس دائرة المعارف العثمانية. (1681).

⁽²⁾ ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم: النبوات. 1 مج. بدون ط. القاهرة: المطبعة السلفية 1386هـ. (ص168).

⁽³⁾ سورة غافر: 5.

ذكر في كتابه إعلاماً منه بذلك نبيه أن سنته في قومه الذين سلكوا سبيل أولئك في تكذيبه وجداله سنته؛ من إحلال نعمته بهم، وسطوته بهم، فقال تعالى ذكره كذبت قبل قومك المكذبين لرسالتك إليهم، المجادلين بالباطل؛ قوم نوح والأحزاب من بعدهم، وهم الأمم الذين تحزبوا وتجمعوا على رسلهم بالتكذيب لها؛ كعاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين وأشباههم⁽¹⁾.

قال الإمام الشوكاني: "خاصموا رسولهم بالباطل من القول ليدحضوا به الحق ليزيلوه"⁽²⁾.

وتكذيب الرسل عليهم السلام كان في ثلاثة أمور: -

1 - التكذيب بما أنزل على الرسل عليهم السلام ومن الشواهد على ذلك من القرآن الكريم قوله تعالى: (حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ)⁽³⁾، "والمعنى أنه بلغ تكذيبهم الآيات إلى أنهم يجادلونك وينكرونك... فيجعلون كلام الله وأصدق الحديث، خرافات وأكاذيب، وهي الغاية في التكذيب"⁽⁴⁾.

وهؤلاء القوم يجادلون في القرآن الكريم، ويكفرون به من شدة عتوهم وتكبرهم وتكذيبهم، قال الإمام السعدي: "فكيف يكون هذا الكتاب الحاوي لأنباء السابقين واللاحقين، والحقائق التي جاءت بها الأنبياء والمرسلون، والحق، والقسط، والعدل التام، من كل وجه، أساطير الأولين؟"⁽⁵⁾.

2 - التكذيب بالبعث وباليوم الآخر والشواهد على ذلك كثيرة في كتاب الله، فتلك الأمم كذبت بالبعث بعد الموت، قال تعالى: (وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا* قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا* أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ

⁽¹⁾ الطبري: جامع البيان (42\24).

⁽²⁾ الشوكاني: فتح القدير (481\4).

⁽³⁾ سورة الأنعام: 25.

⁽⁴⁾ الزمخشري: الكشاف (15\2).

⁽⁵⁾ السعدي: تيسير الكريم الرحمن (254\1).

قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا * يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا (١).

قال الإمام الشوكاني عند تفسيره للآيات السابقة: "لما فرغ سبحانه من حكاية شبه القوم في النوات (٢) حكى شبهتهم في أمر المعاد فقال: وَقَالُوا أَعِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرَفَاتًا وَالاسْتِفْهَامُ لِلِاسْتِكَارِ وَالِاسْتِبْعَادِ، وَتَقْرِيرِ الشَّبْهِةِ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا مَاتَ جَفَّتْ عِظَامُهُ وَتَنَاطَرَتْ... فَكَيْفَ يَعْقِلُ بَعْدَ ذَلِكَ اجْتِمَاعَهَا بِأَعْيَانِهَا، ثُمَّ عَوْدِ الْحَيَاةِ إِلَى ذَلِكَ الْمَجْمُوعِ، فَأَجَابَ سَبْحَانَهُ عَنْهُمْ بِأَنَّ إِعَادَةَ بَدَنِ الْمَيِّتِ إِلَى حَالِ الْحَيَاةِ أَمْرٌ مُمْكِنٌ وَلَوْ فَضِضْتُمْ أَنَّ بَدَنَهُ قَدْ صَارَ أَعْبَدَ شَيْءٍ مِنَ الْحَيَاةِ وَمِنْ رَطُوبَةِ الْحَيِ كَالْحِجَارَةِ وَالْحَدِيدِ" (٣).

3 - التّكذِيبُ بِالرِّسْلِ أَنْفُسَهُمْ، قَالَ تَعَالَى: (قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا أَنْ نَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَثُونَا بِسُلْطَانٍ) (٤).

ففي الآية اتهام للرسول عليهم السلام بالكذب، "و فيه استبعاد بعثة البشر" (٥)، فقول الأمم لرسولهم إن أنتم الا بشر مثلنا يعني "لا فضل بيننا وبينكم، ولا فضل لكم علينا، فلم تخصون بالنبوة دوننا، ولو أرسل الله إلى البشر رسلاً لجعلهم من جنس أفضل منهم وهم الملائكة" (٦).

واجتماع الكفرة من الأقوام على الرسول أنهم بشر مثلهم، قضية تكررت عند معظم الأمم السابقة، وما هذا إلا لخفة عقولهم، وشدة جحودهم وتكبرهم؛ إذ أن الحكمة تقتضي أن يرسل الله سبحانه وتعالى الرسول من البشر أنفسهم؛ لأن الرسول هو قدوة الناس وعليهم الاقتداء به، فكيف يطلب

(١) سورة الإسراء: 49-52.

(٢) في الآيات السابقة من سورة الإسراء.

(٣) انظر: الشوكاني: فتح القدير (3/234).

(٤) سورة إبراهيم: 10.

(٥) ابن عطية: المحرر الوجيز (3/858).

(٦) الزمخشري: الكشاف (2/511).

هؤلاء رسلاً من الملائكة الذين يختلفون عن البشر، فهم لا يأكلون ولا يشربون، فالملائكة خلقهم الله للعبادة دون شهوة، فكيف لنا أن نقندي بهم، وكيف للبشر أن يروا الملك في خلقته، لذلك قال الله سبحانه وتعالى في معرض الرد عليهم (لَوْ لَأُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ * وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ)⁽¹⁾. فلا بد للملك لو نزل عليهم أن يكون في هيئة البشر يأكل ويشرب .

إن تلك الأمم السابقة التي كفرت وكذبت بالرسول، كان مصيرها الهلاك والدمار، ثم يوم القيامة إلى نار جهنم وبئس المهاد، لذلك وجب الحذر من إتباع سنن تلك الأمم، فيحل بنا ما حل بهم، فسنة الله لا تتغير ولا تتبدل، فواجبنا نحو الرسل عليهم السلام الإيمان بهم جميعاً، وعدم التفريق بينهم، وتصديقهم بما جاؤوا به من الأمور الغيبية، وبما جاؤوا به من الآيات والمعجزات، وبما أخبروا به عن غيرهم من الأنبياء والمرسلين، فبذلك تكون النجاة ويكون السير على الطريق المستقيم .

⁽¹⁾ سورة الأنعام: 8-9.

المبحث الرابع: الإعراض

لقد وقفت الأمم السابقة موقف المعرض عن دعوة رسلهم، فأصموا آذانهم عن السماع، وصرفوا أبصارهم عن آيات الله عز وجل، وأقفلوا قلوبهم وعقولهم عن التفكير، فأصبحت لهم قلوب لا يعقلون بها، وآذان لا يسمعون بها، وأعين لا يبصرون بها، فتعجب الله سبحانه وتعالى من حال هؤلاء المعرضين، فقال جل وعلا: (فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ)⁽¹⁾، ووصف حالهم فقال سبحانه: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ)⁽²⁾. والإعراض أصبح صفة لازمة لهؤلاء، بل إنهم أعرضوا عن كل شيء يقربهم إلى الله، ومن إعراضهم: -

1 - إعراضهم عن آيات الله الكونية الدالة على وحدانيته، قال تعالى: (وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ)⁽³⁾ وكأين من آية، أي كم "من علامة ودلالة على الخالق وعلى صفاته وتوحيده، يشاهدونها وهم معرضون عنها لا يعتبرون بها"⁽⁴⁾، فهم يعاينون آيات الله في السماء من النجوم، والشمس، والكواكب، ويمرون على آيات في الأرض كالجبال والشجر والدواب والبحار والمحيطات، وكل ذلك فيه دليل كاف على وحدانية الخالق جل وعلا، فأين عقول هؤلاء وهم يمرون على هذه الآيات، ثم هم يعرضون عنها، ولا يتفكرون بها.

2 الإعراض عن الآيات القرآنية، قال تعالى: (وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ)⁽⁵⁾ "بين سبحانه أنه لا يجدد لهم موعظة وتذكيراً إلا جددوا ما هو نقيض المقصود؛ وهو الإعراض والتكذيب والاستهزاء"⁽⁶⁾. وقال تعالى: (بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ

⁽¹⁾ سورة المدثر: 49.

⁽²⁾ سورة الأحقاف: 3.

⁽³⁾ سورة يوسف: 105.

⁽⁴⁾ الزمخشري: الكشاف: (2/479).

⁽⁵⁾ سورة الشعراء: 5.

⁽⁶⁾ الشوكاني: فتح القدير (4/94).

فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ(1) "أي بالكتاب الذي هو ذكرهم، أي: وعظهم أو وصيتهم وفخرهم: أو بالذكر الذي كانوا يتمنونونه ويقولون: لو أنّ عندنا ذكراً من الأولين لكنا عباد الله المخلصين"(2)، فلما أنزل الله سبحانه وتعالى ذلك الذكر وذلك القرآن العظيم، أعرضوا عنه، ولم ينتفعوا بما فيه من الآيات والعبر.

3- الإعراض عن التفكير بيوم القيامة، والإعراض عن الاستعداد للحساب، قال تعالى: (اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ)(3)، "وصفهم بالغفلة مع الإعراض، على معنى: أنهم غافلون عن حسابهم ساهون، لا يفكرون في عاقبتهم، ولا يتقنون لما ترجع إليه خاتمة أمرهم، مع اقتضاء عقولهم أنه لا بدّ من جزاء للمحسن والمسيء، وإذا قرعت لهم العصا، ونبهوا عن سنة الغفلة، فطنوا لذلك بما يتلى عليهم من الآيات والنذر، أعرضوا وسدوا أسماعهم ونفروا"(4).

إن الإعراض عن الله سبحانه وتعالى وعن آياته من أعظم الذنوب حيث وصف الله سبحانه وتعالى المعرضين عن آياته بالظلمة والمجرمين، قال تعالى: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ)(5).

ولأن الإعراض من أشنع الذنوب، وأقبحها فقد توعّد الله سبحانه وتعالى المعرضين عنه وعن آياته بما يلي: -

1- بين الله سبحانه وتعالى في سورة الجنّ ما أعدّه من العذاب الأليم للمعرضين على لسان الجن، قال تعالى: (وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا)(6) "أي ومن يعرض

(1) سورة المؤمنون: 71.

(2) الزمخشري: الكشاف (1983).

(3) سورة الأنبياء: 1.

(4) الزمخشري: الكشاف (102\3).

(5) سورة السجدة: 22.

(6) سورة الجن: 17.

عن القرآن، أو عن العبادة، أو عن الموعظة، أو عن جميع ذلك، يسلكه أي: يدخله عذاباً صعباً أي: شاقاً صعباً⁽¹⁾ والصعد "وصف به العذاب لأنه يتصعد المعذب أي يعلوه ويغلبه فلا يطيقه"⁽²⁾.

2 التهديد والوعيد بالعذاب الدنيوي والهلاك لمن يعرض عن الإيمان بالله، قال تعالى: (فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ)⁽³⁾ " يعني كفار قريش عما تدعوهم إليه يا محمد من الإيمان، فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود، أي خوفتكم هلاكاً مثل هلاك عاد وثمود "⁽⁴⁾ وخص عاداً وثمود بالذكر لوقوف قريش على بلادها في اليمن، وفي الحجر في طريق الشام"⁽⁵⁾.

3- التهديد بالمعيشة الضنك في الدنيا والآخرة للمعرضين عن ذكر الله، قال تعالى: (فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى)⁽⁶⁾، وهذا جزاء الكافر إذا أعرض عن ذكر ربه "فله المعيشة الضنك في الدنيا، وفي القبر، وفي النار، وبالقلب من حيث وحشة الكفر، وبالوقت من حيث انغلاق الأمور"⁽⁷⁾.

فأين تكمن تلك العيشة؟ لا سيما أن كثيراً من المعرضين منعمون في الدنيا، فهم يعيشون في رغد الحياة وزينتها فكيف يعيشون عيشة الضنك، والإجابة على هذه السؤال تتضح في كلام ابن القيم رحمه الله حيث قال: "فإنه سبحانه رتب المعيشة الضنك على الإعراض عن ذكره فالمعرض عنه له من ضنك المعيشة بحسب إعراضه، وإن تنعم في الدنيا بأصناف النعم، ففي

⁽¹⁾ الشوكاني: فتح القدير (309\5).

⁽²⁾ الزمخشري: الكشاف (631\4).

⁽³⁾ سورة فصلت: 13.

⁽⁴⁾ القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (346\15).

⁽⁵⁾ ابن عطية: المحرر الوجيز (8\5).

⁽⁶⁾ سورة طه: 124.

⁽⁷⁾ انظر: القشيري، عبدالكريم بن هوازن: لطائف الإشارات 3. مج. تحقيق: عبداللطيف حسن عبدالرحمن

ط1. بيروت: دار الكتب العلمية 1420هـ (281\2).

قلبه من الوحشة والذل والحسرات التي تقطع القلوب، والأمانى الباطلة والعذاب الحاضر ما فيه وإنما تواريه عند سكرات الشهوات والعشق وحب الدنيا والرياسة إن لم ينضم إلى ذلك سكر الخمر فسكرها هذه الأمور أعظم من سكر الخمر، فإنه يفيق صاحبه، ويصحوا، وسكر الهوى وحب الدنيا لا يصحوا صاحبه إلا إذا سكر في عسكر الأموات، فالمعيشة الضنك لازمة لمن أعرض عن ذكر الله الذي أنزله على رسوله في دنياه وفي البرزخ ويوم معاده ولا تقر العين ولا يهدى القلب، ولا تطمئن النفس إلا بإلهها ومعبودها الذي هو حق، وكل معبود سواه باطل فمن قرط عينه بالله قرط به كل عين، ومن لم تقر عينه بالله تقطعت نفسه علي الدنيا حسرات"⁽¹⁾.

فالإعراض عن الله سبب في الشقاء الدنيوي والأخروي، فالمعرض عن الله مضطرب النفس غير مرتاح البال، وإن عاش بالملذات فكم من المعرضين قتلوا أنفسهم وانتحروا، ولو نظرت في حالهم لرأيتهم مترفين، فحصلوا من الدنيا على كل الملذات، فأشبعوا جوارحهم بالملذات، ولم يجدوا الراحة والطمأنينة لأنهم أغفلوا غذاء الروح وهو القرب من الله وعبادته وحده.

ما نراه الآن وحسب الإحصائيات أن أعلى نسبة انتحار في العالم هي في الدول المتقدمة، في الوقت الذي أعلى نسبة دخل للفرد هي في تلك الدول، فأين سعادة المال ورغد العيش، على النقيض من ذلك تجد أن نسب الانتحار في المجتمعات الإسلامية قليلة جداً مقارنة مع تلك الدول، وهذا دليل صارخ على نعمة الإسلام؛ إذ إن إيمان المسلم بربه وبالقضاء والقدر يجعله دائم الصلة بربه راضياً بما قُسم له من الخير أو الشر، فالمؤمن أمره عجيب يصبر على المصيبة، ويحمد الله على النعمة.

فأنصح نفسي أولاً ثم النصيحة لك أخي المسلم، إياك إياك من الغفلة والبعد عن الله، ثم الحذر من الإعراض عنه و عن هجران كتابه العظيم، فالشقي من أعرض عنه، والسعيد من أقبل عليه.

⁽¹⁾ ابن القيم، محمد بن أبي بكر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء). 1-مج. بدون ط. بيروت: دار الكتب العلمية (83\1-84).

المبحث الخامس: الإصرار والعناد على الكفر

إن من مهمات الرسل دعوة الناس لما فيه الخير لهم في الدنيا والآخرة، فمنهم من آمن، ومنهم من كفر، ورغم اقتناعهم بالحق الذي جاء به المرسلون، إلا أنهم أصروا على كفرهم وعنادهم، وهذا الموقف من أبشع المواقف حيث عرفوا الحق، وما تبعوه عنادا وكفرا، قال تعالى في حق فرعون وقومه: (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ) (1) ".

وفائدة ذكر الأنفس أنهم جحدوها بألسنتهم، واستيقنوها في قلوبهم وضمائرهم، والاستيقان أبلغ من الإيقان " كما يقول الفخر الرازي (2)، فجحدهم بالرسول عليهم السلام كان عنادا، وإصرارا منهم على الكفر .

"وكفر العناد هو أن يعرف الله بقلبه ويعترف بلسانه، ولا يدين به؛ ككفر أبي طالب حيث يقول: ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية دينا" (3).

وهذا من شعر أبي طالب حيث قال:

وعرضت دينا لقد علمت بأنه من خير أديان البرية دينا لولا الملامة أو حذار مسبة لوجدتني
سمحا بذاك مبينا (4).

وأخبر الله جل وعلا عن هؤلاء الكفرة أنهم لا ينتفعون بالإنذار سواء أنذروا أم لم يندروا، قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) (5).

(1) سورة النمل: 14.

(2) الرازي: التفسير الكبير (158\24).

(3) البغوي: تفسير البغوي (48\1).

(4) ديوان أبي طالب (86\1).

(5) سورة البقرة: 6.

يقول السعدي في تفسيره " يخبر تعالى أن الذين كفروا أي: اتصفوا بالكفر وانصبغوا به، وصاروصفاً لهم لازماً لا يردعهم عنه رادع، ولا ينجع فيهم وعظ؛ لأنهم مستمررون على كفرهم فسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون، وحقيقة الكفر: هو الجحود لما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام، أو جحد بعضه فهؤلاء الكفار لا تفيدهم الدعوة إلا إقامة الحجة عليهم"⁽¹⁾. فمن الكفار من لا ينتفعون بالإنذار لأن الله ختم على قلوبهم وأبصارهم فهم لا يتعظون وهذا خاص ببعض الكفرة وليس كلهم لأن من الكفار من انتفع بالدعوة وآمن بالله.

وهؤلاء الكفار كالموتى لا ينتفعون بالإنذار، قال الإمام ابن القيم⁽²⁾ رحمه الله عن الكفار الذين لا ينتفعون بالإنذار والموعظة: "وميت لا يقبل الإنذار، ولا ينتفع به؛ لأن أرضه غير زاكية، ولا قابلة للخير ألبتة، فيحق عليه القول بالعذاب، وتكون عقوبته بعد قيام الحجة عليه لا بمجرد كونه غير قابل للهدى والإيمان، بل لأنه غير قابل ولا فاعل، وإنما يتبين كونه غير قابل بعد قيام الحجة عليه بالرسول إذ لو عذبه بكونه غير قابل، لقال لو جاءني رسول منك لامتثلت أمرك، فأرسل إليه رسوله، فأمره ونهاه، فعصى الرسول بكونه غير قابل للهدى، فعوقب بكونه غير فاعل، فحق عليه القول أنه لا يؤمن ولو جاءه الرسول"⁽³⁾.

وقال تعالى عن عناد هؤلاء الكفرة وإصرارهم على كفرهم(وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلُوا إِنَّا عَامِلُونَ)(4).

⁽¹⁾ السعدي: تيسير الكريم الرحمن (42\1).

⁽²⁾ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، أبو عبد الله، شمس الدين: من أركان الإصلاح الإسلامي وأحد كبار العلماء. مولده ووفاته في دمشق تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شئ من أقواله، بل ينتصر له في جميع ما يصدر عنه. وهو الذي هذب كتبه ونشر علمه ولد سنة 691هـ وتوفي سنة 751هـ. انظر: الزركلي: الأعلام (56\6).

⁽³⁾ ابن القيم، محمد بن أبي بكر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. 3 مج. تحقيق: محمد حامد الفقي. ط2. بيروت: دار الكتاب العربي 1393هـ. (219\1).

⁽⁴⁾ سورة فصلت: 5.

قال أبو بكر الجزائري في تفسيره للآية الكريمة: "قالوا معتذرين بأعذار: قلوبنا في أكنة أي أعطية تسترها من أجل أن لا نفهم ما تدعونا إليه من التوحيد والإيمان بالبعث والجزاء المقتضي لمتابعتك والسير وراءك، وفي آذاننا وقر، أي: ثقل؛ فلا تقوى على سماع ما نقول، ومن بيننا وبينك حجاب ساتر وحائل لنا عنك، فلا نسمع ما نقول، ولا نرى ما تعمل فاتركنا كما تركناك، واعمل على نصره دينك فإننا عاملون كذلك على نصره ديننا، والحفاظ على معتقداتنا، وهذه نهاية المفاصلة التي أبدتها قريش للرسول -صلى الله عليه وسلم-"⁽¹⁾.

وهذا الموقف الذي وقفته الأمم السابقة في وجه الرسالات السماوية، من إصرارهم على الكفر وعناد النذر؛ كان سبباً في طبع الله على قلوبهم، فانه سبحانه وتعالى يعطي للمُنذرين فرصاً وأسباباً للهداية؛ فمن اتبع الرسل فاز ونجا من غضب الله وعذابه، ومن أصر على موقفه وكفره؛ فهو لاء يختم الله على قلوبهم ويحل غضبه عليهم، فيهلكهم كما أهلك الذين من قبلهم، لذلك يجب الإذعان والاستجابة لدعوة الرسل عليهم السلام، ويكون الموقف سمعنا وأطعنا لا سمعنا وعصينا.

⁽¹⁾ الجزائري جابر بن موسى أبو بكر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير. 5. مج. ط. 5. المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم 1424هـ. (56014).

المبحث السادس: اتهام النذر بالسحر والجنون

إن الناظر في حال الأمم السابقة يجد أن منها من اشتركت وتتابعت على اتهام الرسل عليهم السلام بالسحر أو بالجنون، كما أخبر الله سبحانه وتعالى حيث قال: (كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ)⁽¹⁾. قال صاحب المحرر الوجيز⁽²⁾ "معناه إلا قال بعض هذا، وبعض هذا، وبعض الجميع ألا ترى أن قوم نوح لم يقولوا قط ساحر، وإنما قالوا به جنة، فلما اختلف الفرق جعل الخبر عن ذلك بإدخال أو بين الصفتين، وليس المعنى أن كل أمة قالت عن نبيها إنه ساحر أو هو مجنون"⁽³⁾.

وقال ابن عاشور: "والقصر المستفاد من الاستثناء قصر ادعائي؛ لأن للأمم أقوالاً غير ذلك وأحوالاً أخرى، وإنما قُصروا على هذا اهتماماً بذكر هذه الحالة العجيبة من البهتان، إذ يرمون أعقل الناس بالجنون، وأقومهم بالسحر"⁽⁴⁾.

وذكر موقف الأقسام السابقة من رسلهم تسليته للرسول -عليه الصلاة والسلام-، يقول الإمام الشوكاني: "في هذا تسليته لرسول الله ﷺ ببيان أن هذا شأن الأمم المتقدمة وأن ما وقع من العرب من التكذيب لرسول الله ووصفه بالسحر والجنون قد كان ممن قبلهم لرسولهم"⁽⁵⁾.

ورد الله سبحانه وتعالى على هذا الادعاء أو الافتراء في مقولتهم، متعجباً وموبخاً لهم، قال تعالى: (أَتَوَصَّوْا بِهِ بِلِّ هُمْ قَوْمٌ طَآغُوتٌ)⁽⁶⁾، قال ابن عاشور: "الاستفهام مستعمل في

⁽¹⁾ سورة الذاريات: 52.

⁽²⁾ عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، من محارب قيس، الغرناطي، أبو محمد: مفسر فقيه، أندلسي، من أهل غرناطة، عارف بالأحكام والحديث، له شعر ولي قضاء المرية، وكان يكثر الغزوات في جيوش الملمين وتوفي بلورقة له المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ولد سنة 481هـ وتوفي سنة 542هـ. انظر: الزركلي: الأعلام (3\282).

⁽³⁾ ابن عطية: المحرر الوجيز (5\182).

⁽⁴⁾ ابن عاشور: التحرير والتنوير (27\22).

⁽⁵⁾ الشوكاني: فتح القدير (91\92-92).

⁽⁶⁾ سورة الذاريات: 53.

التعجيب من تواطئهم على هذا القول على طريقة التشبيه البليغ، أي كأنهم أوصى بعضهم بعضاً بأن يقولوه، فالاستفهام هنا كناية عن لآزمه وهو التعجيب؛ لأن شأن الأمر العجيب أن يسأل عنه... ويتابع الشيخ ابن عاشور في بيان سبب تواطئهم على التواصي حيث يقول: ولكنه تماثل في منشأ ذلك القول، أي: سبب تماثل المقالة تماثل التفكير والدواعي للمقالة، إذ جميعهم قوم طاغون، وأن طغيانهم وكبرياءهم يصددهم عن إتباع رسول يحسبون أنفسهم أعظم منه، وإذ لا يجدون وصمة يصمون بها اختلفوا لتفقيصه عللا لا تدخل تحت الضبط، وهي أنه مجنون أو ساحر، فاستنوا في ذلك بعلّة استوائهم في أسبابه ومعاذيره" (1)

وقد ذكر القرآن الكريم موقف تلك الأمم السابقة واتهامهم لرسلم بالسحر والجنون فقد قال قوم نوح عليه السلام عنه: (إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فترَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ) (2). "والجنة: الجنون أو الجن، فإن جهال العوام يقولون في المجنون زال عقله بعمل الجن وهذه الشبهة من باب الترويج على العوام فإنه -عليه الصلاة والسلام- كان يفعل أفعالاً على خلاف عاداتهم، فأولئك الرؤساء كانوا يقولون للعوام إنه مجنون، ومن كان مجنوناً فكيف يجوز أن يكون رسولاً؟" (3) وقالوا عنه أيضاً، قال تعالى: (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ) (4).

وقوم عاد قالوا عن نبي الله هود عليه السلام: (إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ) (5) "أي ما نقول في سبب مخالفتك إيانا إلا أن بعض آلهتنا أصابك بجنون لسبك إياها فالذي تظهر من عيبها لما لحق عقلك من التغيير" (6).

¹ انظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير (22\27).

² سورة المؤمنون: 25.

³ الرازي: التفسير الكبير (81\23).

⁴ سورة القمر: 9.

⁵ سورة هود: 54.

⁶ ابن الجوزي: زاد المسير (118\4).

وقوم ثمود قالوا عن نبي الله صالح عليه السلام: (قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ) (1)، "أي الذين سُحِرُوا كثيراً حتى غلب على عقولهم" (2).

وقال تعالى عن موسى وما قيل له: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ) (3)، "ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة، أنه أرسل نبيه موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، بآياته وحججه الواضحة؛ كالعصا، واليد البيضاء إلى فرعون، وهامان، وقارون فكذبوه، وزعموا أنه ساحر، وأوضح هذا المعنى، في آيات كثيرة، كقوله تعالى عن فرعون وقومه: (قَالَ فِرْعَوْنُ أَمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ أَدْنَا لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) (4)، وقوله تعالى عن فرعون: (قَالَ أَمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ أَدْنَا لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرٌ كُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَتَعْلَمَنَّ آيُنَا أَنَّ شِدَّةَ عَذَابِي وَأَبْقَى) (5)، وقوله تعالى: (قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ) (6)، والآيات بمثل ذلك كثيرة" (7).

وقوم النبي صلى الله عليه وسلم اتهموه بالجنون والسحر، قال تعالى عنهم: (وَيَقُولُونَ أَأَنْتَا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ) (8)، وقالوا عن النبي صلى الله عليه وسلم: (قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ) (9)، وقالوا عنه تارة أخرى إنه مسحور (وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنَّ تَبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا) (10).

(1) سورة الشعراء: 153.

(2) الألويسي: روح المعاني (113\19).

(3) سورة غافر: 23-24.

(4) سورة الأعراف: 132.

(5) سورة طه: 71.

(6) سورة الشعراء: 34.

(7) الشنقيطي: أضواء البيان (383\6).

(8) سورة الصافات: 36.

(9) سورة يونس: 2.

(10) سورة الفرقان: 8.

ومواقف الكفار واتهاماتهم للنذر على مر العصور واحدة فهم متشبثون بدين الآباء والأجداد فمهما يأتهم الأنبياء بالحجج والبراهين فهم مصرون على مواقفهم حتى يحل بهم عقاب الله وسخطه فهؤلاء الأقوام الذين نصبوا العداء لدين الله أهلكوا وبقي دين الله ودعوة الأنبياء راسخة وهذه رسالة إلى كل من يقف في وجه الدعوة ويعادي ويحارب دين الله، فانظر إلى حال الشعوب العربية اليوم، فإن من كان يقتل الدعاة ويحارب كتاب الله أذله الله وقتله شر قتله، ومن كان يسجن الدعاة ويمنعهم من قول الحق أصبح سجيناً طريحاً في الأرض، ومن طرد الدعاة من ديارهم ونفاهم ورهبهم أصبح طريداً هارباً، فإن كان للباطل جولة فلحق جولات وجولات، وإن كان الباطل ساعة فالحق ساعات، فمهما تأمر المضللون وأثاروا الشائعات، وحاولوا حجب الناس عن الحق فوعد الله قائم بالتمكين لدينه ولدعاته فالغلبة لله ولرسوله وللمؤمنين، فالصبر الصبر يا دعاة الإسلام فالنصر قريب وآتٍ لا محالة (وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)⁽¹⁾.

ومفاد الرسالة أن دين الله ودعوة الله باقية وما مصير من يعاند إلا الهلاك في الدنيا فكيف سيكون موقف هؤلاء المعاندين أمام الله وماذا ستكون حجتهم، فمن يتبجح بظلم عباد الله وتعذيبهم كيف سيكون حاله، فمن يعذب المساجين ويذيقهم أشد أصناف العذاب، كيف سيكون حاله عندما يلاقى ربه، بأي ذنب عذب هؤلاء وماذا كان جرمهم.

⁽¹⁾ سورة يوسف: 21.

الفصل السادس

الإذار في دعوة أولى العزم من الرسل عليهم السلام

الإذار في دعوة أولي العزم من الرسل عليهم السلام.

لقد أرسل الله سبحانه وتعالى الرسل عليهم السلام مُنذِرِينَ ومبشِرِينَ لأقوامهم فمن هؤلاء الرسل من بذل الوسع والجهد الأكثر في الدعوة ولقي الأذى من قومه فصبر أكثر من غيره من الرسل وهؤلاء الرسل عليهم السلام خصهم الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم فقال تعالى مخاطباً نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم - (فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ) (1) وأولوا العزم هم "أولوا الجد والثبات والصبر" (2).

قال الإمام الطبري عند تفسيره للآية الكريمة "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ مثبتة على الماضي لما قلده من عبء الرسالة وثقل أحمال النبوة ﷺ وأمره بالتأسي في العزم على النفوذ لذلك بأولي العزم من قبله من رسله الذين صبروا على عظيم ما لقوا فيه من قومهم من المكاره ونالهم فيه منهم من الأذى والشدائد، فاصبر يا محمد على ما أصابك في الله من أذى مكذبيك من قومك الذين أرسلناك إليهم بالإذار كما صبر أولوا العزم على القيام بأمر الله" (3).

واختلف العلماء في المراد بأولي العزم من الرسل في هذه الآية الكريمة اختلافاً كثيراً لا مجال لذكرها هنا.

وأشهر الأقوال في ذلك أنهم خمسة، وهمهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام (4).

والآيات التي ترجح هذا القول قوله تعالى (وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ) (5)، وقال تعالى: (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى) (6).

وسأتكلم في هذا الفصل بإذن الله عن الإذار في دعوة هؤلاء الرسل عليهم السلام وهم أولوا العزم، وجاء ذلك في خمسة مباحث.

(1) سورة الأحقاف: 35.

(2) الزمخشري: الكشاف (317\4).

(3) الطبري: جامع البيان (37\26).

(4) الشنقيطي: أضواء البيان (241\7).

(5) سورة الأحزاب: 7.

(6) سورة الشورى: 13.

المبحث الأول: الإنذار في دعوة نوح عليه السلام.

لقد بعث الله سبحانه وتعالى نوحاً عليه السلام إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً كما أخبر الله عز وجل في قوله (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ)⁽¹⁾، فدعاهم بشتى أنواع الدعوة بالليل والنهار بالسر العلن بإنذارهم تارة وتبشيرهم تارة أخرى فلم يزددهم ذلك إلا إعراضاً وفراراً منه ومن دعوته.

ولقد أرسل الله سبحانه وتعالى نوحاً عليه السلام مُنذراً لقومه قال تعالى (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْآلِيمِ)⁽²⁾، فبين لهم نوح عليه السلام أنه نذير لهم ، قال الخازن عند تفسيره للآية الكريمة : "يعني أن نوحاً عليه السلام قال لقومه حين أرسله الله إليهم: إني لكم أيها القوم نذير مبين يعني بين النذارة أخوف بالعقاب من خالف أمر الله وعبد غيره"⁽³⁾.

ولقد أمرهم نوح عليه السلام بعبادة الله عز وجل لأن عبادة الله هي أصل الإنذار وأساسه، وقد بين لهم نوح عليه السلام أنه ما أنذرهم إلا لخوفه عليهم من العذاب الأليم.

وأندر نوح عليه السلام قومه من العذاب الأليم الذي سيحل بهم إذ هم أصروا على كفرهم ومعاندتهم لأمر الله قال تعالى: (إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا * يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ سورة العنكبوت: 14.

⁽²⁾ سورة هود: 25.

⁽³⁾ الخازن: لباب التأويل (227\3).

⁽⁴⁾ سورة نوح: 1-4.

يقول ابن عاشور في معنى الآية "إنه يخوفهم غضب الله تعالى عليهم إذ عبدوا الأصنام ولم يتقوا الله ولم يطيعوا ما جاءهم به رسوله فأمره الله أن ينذرهم عذاباً يأتيهم من الله ليكون إنذاره مقدماً على حلول العذاب وهذا يقتضي أنه أمر بأن يُعلمهم بهذا العذاب وأن الله وقته بمدة بقائهم على الشرك بعد إبلاغ نوح إليهم ما أرسل به في مدة يقع الإبلاغ في مثلها"⁽¹⁾.

"والعذاب الذي توعدوا به يحتمل أن يكون عذاب الدنيا وهو الأظهر والأليق بما يأتي بعد ويحتمل أن يكون عذاب الآخرة"⁽²⁾.

وقد أُنذر نوح عليه السلام قومه عذاب الله وسخطه عليهم بعدما أظهروا سخريتهم له قال تعالى: (وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ * فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ)⁽³⁾.

فهددهم نوح عليه السلام بالعذاب المخزي والعذاب المقيم "والعذاب المخزي هو الغرق والمقيم هو عذاب الآخرة"⁽⁴⁾.

وقوم نوح عليه السلام لم ينتفعوا بالإنذار، ولم يستجيبوا له، وأوصى كبيرهم صغيرهم بعدم الإيمان بنوح عليه السلام فتوارثوا الكفر جيلاً بعد جيل حتى دعا عليهم نوح -عليه السلام- وطلب من الله أن يعجل لهم العذاب الذي أنذرهم به قال تعالى: (وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لِمَا تَذَرُ عَلَيَّ الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا)⁽⁵⁾.

¹ ابن عاشور: التحرير والتنوير (186\29).

² ابن عطية: المحرر الوجيز (872\5).

³ سورة هود: 38-39.

⁴ ابن عطية: المحرر الوجيز (170\3).

⁵ سورة نوح: 26.

ودعاء نوح عليه السلام على قومه جاء بعد فقد الأمل بهم ، وبعدهما تيقن أنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن، فهناك قام" نوح عليه السلام مناجياً ربه عز وجل وحاكياً له سبحانه بقصد الشكوى، وهو سبحانه أعلم بحاله ما جرى بينه وبين قومه من القيل والقال في تلك المدة الأطول بعدما بذل في الدعوة غاية المجهود وجاز في الإنذار كل حد معهود وضافت عليه الحيل وعبت به العلل"(1).

قال تعالى على لسان نوح عليه السلام: (قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا* وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا * ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا)(2).

فها هو سيدنا نوح عليه السلام أودي وشم واستهزئ به ولم يؤمن به إلا القليل من الناس مع طول المدة التي مكث يدعو قومه فيها مع ذلك صبر عليه السلام فكان من أولي العزم الذين استنفذوا كل الأساليب والطاقت لدعوة الناس وإرشادهم للطريق المستقيم، فاستحق بذلك أن يكون في مقدمة أولي العزم من الرسل عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام.

(1) الألوسي: روح المعاني (71\29).

(2) سورة نوح: 5-9.

المبحث الثاني: الإنذار في دعوة إبراهيم عليه السلام.

لقد كان إبراهيم عليه السلام أحد أولي العزم من الرسل الذين اصطفاهم الله عز وجل فإبراهيم عليه السلام اصطفاه الله عز وجل وجعله خليلاً له قال تعالى: (وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا) (1) " أي صفيًا وهو مشتق من الخلة بمعنى المودة وفي ذلك تشریف لإبراهيم وترغيب في اتباعه" (2).

قال الإمام الرازي رحمه الله " لما دلت الآية على أن إبراهيم عليه السلام إنما كان بهذا المنصب العالي وهو كونه خليلاً لله تعالى بسبب أنه كان عاملاً بتلك الشريعة كان هذا تنبيهاً على أن من عمل بهذا الشرع لا بدّ وأن يفوز بأعظم المناصب في الدين وذلك يفيد الترغيب العظيم في هذا الدين" (3).

ووصف الله سبحانه وتعالى إبراهيم عليه السلام أنه وفيّ قال تعالى (وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى) (4) " والمعنى: وأنتم ما التزمه وأمر به أو بالغ في الوفاء بما عاهد الله" (5).

فإبراهيم عليه السلام أدى ما عليه من تبليغ الشريعة لقومه وإقامة الحجة عليهم وإثبات ضلالهم بأدلة عقلية واقعية وقد تميز أسلوب إبراهيم عليه السلام بالحوار والمجادلة.

فلقد أنذر إبراهيم عليه السلام أباه ودعاه إلى الله بأجمل الأساليب وأرقها وخوفه من نار الله وعقابه فقال تعالى: (وَإِذْ كُرِّ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا* إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُعْنِي عَنْكَ شَيْئًا* يَا أَبَتِ إِنَّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا* يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا* يَا أَبَتِ إِنَّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا) (6).

(1) سورة النساء: 125.

(2) ابن جزى: التسهيل لعلوم التنزيل (159\1).

(3) الرازي: التفسير الكبير (46\11).

(4) سورة النجم: 37.

(5) البيضاوي: تفسير البيضاوي (259\5).

(6) سورة مريم: 41-45.

فحذر إبراهيم عليه السلام أباه من عبادة الشيطان لأنه "معلوم أن المطاوع للعاصي عاص وكل عاص حقيق بأن تسترد منه النعم وينتقم منه ولذلك عقبه بتخويفه سوء عاقبته وما يجر إليه"⁽¹⁾.

وقد بين إبراهيم عليه السلام لأبيه وقومه أنهم في ضلال مبين بعبادتهم للأوثان والكواكب قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَزَرَأْتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَأكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)⁽²⁾، فالإستفهام هنا استفهام توبيخ⁽³⁾ وزجر وفيه تخويف وإنذار لمن يتخذ آلهة من دون الله لذلك عاب إبراهيم على قومه بعدم خوفهم من الله عند عبادتهم هذه الآلهة بل إن هؤلاء القوم يُخَوِّفون إبراهيم من آلهتهم إذ هو أصر على تسفيهاها قال تعالى: (وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)⁽⁴⁾ "أي كيف أخاف شركاءكم الذين لا يقدرُونَ على شيء وأنتم لا تخافون ما فيه كل خوف وهو إشراككم بالله وأنتم تتكرون على الأمن في موضع الأمن ولا تتكرون علي أنفسكم الأمن في موضع الخوف ثم أوقفهم على ذلك بقوله فأَيُّ الفريقين أحق بالأمن يعني فريق المؤمنين وفريق الكافرين"⁽⁵⁾.

ومما لا شك فيه أن الذي له الأمن في الدنيا والآخرة هم المؤمنون لذلك استأنف جل وعلا الإجابة على السؤال قائلاً: (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ)⁽⁶⁾.

فأسلوب إبراهيم عليه السلام في الدعوة والإنذار قام على الحوار والمجادلة وإقامة الحجة بالبراهين القاطعة قال الإمام الرازي "وأما التفصيل: فهو أنه عليه السلام ناظر في إثبات التوحيد وإبطال القول بالشركاء والأنداد في مقامات كثيرة.

⁽¹⁾ البيضاوي: تفسير البيضاوي (184).

⁽²⁾ سورة الأنعام: 74.

⁽³⁾ انظر: النسفي، تفسير النسفي (3301).

⁽⁴⁾ سورة الأنعام: 81.

⁽⁵⁾ ابن جزي: التسهيل لعلوم التنزيل (142).

⁽⁶⁾ سورة الأنعام: 82.

فالمقام الأول: في هذا الباب مناظرته مع أبيه حيث قال لأبيه: (يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ
وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا)(1).

المقام الثاني: مناظرته مع قومه وهو قوله: (فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ)(2).

المقام الثالث: مناظرته مع ملك زمانه فقال: (رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ)(3).

والمقام الرابع: مناظرته مع الكفار بالفعل وهو قوله تعالى: (فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلاَّ كَبِيرًا
لَهُمْ)(4) (5).

فإبراهيم عليه السلام أُنذر أباه وقومه وتعرض للأذى في سبيل دعوته حتى وصل الأمر بهم
إلى إلقائه في النار عقاباً له على تسفيهه وتحطيم أصنامهم التي كانوا يعبدونها من دون الله
فصبر إبراهيم عليه السلام على الأذى، ونجاه الله من القوم الظالمين، وتدخلت إرادة الله عز
وجل الذي يقول للشيء كن فيكون، فالنار التي عهد لها البشر وعرفوها بشدة حرارتها وإحراق
كل ما ألقي فيها، جعلها الله سبحانه وتعالى برداً وسلاماً على إبراهيم قال تعالى: (قُلْنَا يَا نَارُ
كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ)(6)، فالله سبحانه وتعالى ناصر رسله، وجاعل الغلبة لهم،
وما الأذى الذي يكابده أولياء الله إلا ابتلاء من الله حتى يميز الخبيث من الطيب، ويتبين
الصادق من الكاذب .

(1) سورة مريم: 42.

(2) سورة الأنعام: 76.

(3) سورة البقرة: 258.

(4) سورة الأنبياء: 58.

(5) الرازي: التفسير الكبير (13\29).

(6) سورة الأنبياء: 69.

المبحث الثالث: الإنذار في دعوة موسى عليه السلام.

لقد قص الله سبحانه وتعالى علينا قصة رسوله موسى عليه السلام في القرآن الكريم بتفصيل لم يفصله لرسول غيره؛ فذكر سبحانه وتعالى ولادته ومراحل طفولته وما تعرض له من الفتن من إلقائه باليم إلى وصوله لبيت فرعون وذكر سبحانه مراحل شبابه وقصته مع الرجلين المتخاصمين وهجرته لمدين ورجوعه إلى مصر وتكليفه بالرسالة وذكر إنذاره لفرعون وإنذاره للسحرة ودعوته لقومه وما لاقى من الأذى فموسى عليه السلام أكثر الأنبياء ذكرا في القرآن الكريم وذلك يعود إلى التشابه الكبير بين دعوة موسى عليه السلام ودعوة محمد صلى الله عليه وسلم .

قال ابن القيم "ولهذا يذكر سبحانه وتعالى قصة موسى ويعيدها ويبيدها ويسلي رسوله ﷺ ويقول لرسول الله ﷺ عندما يناله من أذى الناس لقد أؤذي موسى بأكثر من هذا فصبر" (1).

فموسى عليه السلام من أولى العزم من الرسل الذين صبروا على الإيذاء في سبيل تبشير الناس وإنذارهم وقد أؤذي من قومه فصبر وقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم صبر موسى عليه السلام فعن عبدالله بن مسعود (قال قَسَمَ النَّبِيُّ ﷺ قَسَمًا فَقَالَ رَجُلٌ إِنَّ هَذِهِ لَقِسْمَةٌ مَا أُرِيدُ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ فَاتَّيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ فغَضِبَ حَتَّى رَأَيْتُ الْغَضَبَ فِي وَجْهِهِ ثُمَّ قَالَ يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ) (2).

فموسى عليه السلام بعثه الله تعالى إلى فرعون عليه لعنة الله فدعاه موسى وأنذره عقاب الله من لا يؤمن بالله قال تعالى مخاطبا نبيه موسى عليه السلام: (أَذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي * أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى * قَالَ رَبَّنَا إِنَّنا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى * قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي

(1) ابن القيم، محمد بن أبي بكر: جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام .1-مج .ط2 . تحقيق: شعيب الأرنؤوط . الكويت: دار العروبة 1407هـ (ص 199).

(2) البخاري: الجامع الصحيح كتاب الأنبياء، باب وفاة موسى وذكره بعد، الحديث (3224). (1249/3).

مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى * فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا
تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى * إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا
أَنَّ الْعَذَابَ عَلَيَّ مَنْ كَذَّبَ(1).

فموسى عليه السلام أنذر فرعون بعذاب الله بطريقة غير مباشرة وذلك لأن الله أوصاه باللين
في دعوته لفرعون، فقال له موسى "إنا قد أوحى إلينا أن العذاب على من كذب وتولى أي إنما
يعذب الله من كذب بما جئنا به وأعرض عنه"(2)، "وفيه من التلطيف في الوعيد حيث لم يصرح
بحلول العذاب به"(3).

قال ابن عاشور عند تفسيره للآية الكريمة: وقوله: (إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا) تعريض لإنذاره على
التكذيب قبل حصوله منه ليبلغ الرسالة على أتم وجه قبل ظهور رأي فرعون في ذلك حتى لا
يجابه بعد ظهور رأيه بتصريح توجيه الإنذار إليه وهذا من أسلوب القول اللين الذي أمرهما
الله به ... وإطلاق السلام والعذاب دون تقييد بالدنيا أو الآخرة تعميم للبشارة والندارة "(4).

وتعميم العذاب يشمل إنذاره بعذاب الدنيا وعذاب الآخرة لذلك قال الله سبحانه وتعالى في سورة
النازعات: (فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالْأُولَى * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى)(5).

قال صاحب روح المعاني(6) عند تفسيره للآية الكريمة " فأخذه الله نكال الآخرة والأولى النكال
بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم وهو التعذيب الذي ينكل من رآه أو سمعه ويمنعه من

¹ سورة طه (42-48).

² البغوي: تفسير البغوي (219\3).

³ أبي السعود: إرشاد العقل السليم (19\6).

⁴ انظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير (16\230-231).

⁵ سورة النازعات (25-26).

⁶ محمود بن عبد الله الحسيني الالوسي، شهاب الدين، أبو الثناء: مفسر، محدث، أديب، من المجددين، من أهل
بغداد، مولده ووفاته فيها كان سلفي الاعتقاد، مجتهدا، ولد سنة 1217هـ وتوفي سنة 1270 هـ .

انظر: الزركلي: الأعلام (167\7).

تعاطي ما يفضي إليه ... كأنه قيل نكل الله تعالى به نكال الآخرة والأولى وهو الإحراق في الآخرة والإغراق والإذلال في الدنيا"⁽¹⁾.

وقد أُيد موسى عليه السلام بمعجزات من عند الله للدلالة على صدقه فعندما عجز فرعون عن مجابهة تلك المعجزات أمر زبانيته بأن يأتوا له من الأمصار من يتقن السحر قال تعالى على لسان فرعون (وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ)⁽²⁾ قال الإمام الشوكاني "قال هكذا لما رأى اليد البيضاء والعصا لأنه اعتقد أنهما من السحر فأمر قومه بأن يأتوه بكل ساحر عليم"⁽³⁾.

وعندما اجتمع السحرة استجابة لنداء فرعون، أُنذرهم موسى عليه السلام عذاب الله قال تعالى (قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَيَّ اللَّهُ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى)⁽⁴⁾ " بين تعالى أن موسى عليه السلام قدم قبل كل شيء الوعيد والتحذير مما قالوه وأقدموا عليه"⁽⁵⁾.

فخطاب موسى عليه السلام لهم فيه إنذار ووعيد إن هم كذبوا على الجموع المحتشدة التي ترقب من الغالب وإنذار موسى عليه السلام لهم؛ لأنه على يقين أن هؤلاء بما أنهم سحرة سيبان لهم الحق أن ما جاء به موسى ليس سحراً، وفي الآية إنذار للسحرة بشكل عام وكل من سلك طريق الكهان والمشعوذين .

وموسى عليه السلام من الرسل الذين صبروا على دعوتهم فصبر على أذى فرعون واتهامه له بأنه ساحر وأنه مجنون، وصبر على استهزاء فرعون به، ولم يتوقف الأذى بموسى عليه السلام حتى أن قومه آذوه بعد هلاك فرعون بتعننتهم وعدم استجابتهم لأمره وكثرة سؤالهم

⁽¹⁾ انظر: الأوسي: روح المعاني (30\30).

⁽²⁾ سورة يونس: 79.

⁽³⁾ الشوكاني: فتح القدير (2\465).

⁽⁴⁾ سورة طه: 61.

⁽⁵⁾ الرازي: التفسير الكبير (22\64).

وتفرقهم واختلافهم، وكفرهم بعدما نجاهم من فرعون، فعبدوا العجل عندما ذهب للقاء ربه وأذووه في جسده فلقد روى الإمام البخاري حديثاً من طريق الصحابي الجليل أبي هريرة رضي الله عنه "قال: قال رسول الله ﷺ: إِنَّ مُوسَى كَانَ رَجُلًا حَيًّا سَتِيرًا لَّا يُرَى مِنْ جِلْدِهِ شَيْءٌ اسْتَحْيَاءَ مِنْهُ فَأَذَاهُ مِنْ آذَاهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَالُوا: مَا يَسْتَتِرُ هَذَا التَّسْتَرُ إِلَّا مِنْ عَيْبِ بَجْلِدِهِ إِمَّا بَرَصٌ وَإِمَّا أُدْرَةٌ وَإِمَّا آفَةٌ وَإِنَّ اللَّهَ أَرَادَ أَنْ يُبْرِئَهُ مِمَّا قَالُوا لِمُوسَى فَخَلَا يَوْمًا وَحْدَهُ فَوَضَعَ ثِيَابَهُ عَلَى الْحَجَرِ، ثُمَّ اغْتَسَلَ فَلَمَّا فَرَّغَ أَقْبَلَ إِلَى ثِيَابِهِ لِيَأْخُذَهَا وَإِنَّ الْحَجَرَ عَدَا بِثُوبِهِ فَأَخَذَ مُوسَى عَصَاهُ وَطَلَبَ الْحَجَرَ فَجَعَلَ يَقُولُ ثُوبِي حَجْرٌ ثُوبِي حَجْرٌ حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَلَأَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَرَأَوْهُ عُرْيَانًا أَحْسَنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ وَأَبْرَأَهُ مِمَّا يَقُولُونَ وَقَامَ الْحَجْرُ فَأَخَذَ ثُوبَهُ فَلَبَسَهُ وَطَفِقَ بِالْحَجَرِ ضَرْبًا بِعَصَاهُ فَوَاللَّهِ إِنَّ بِالْحَجَرِ لَنَدْبًا مِنْ أَثَرِ ضَرْبِهِ ثَلَاثًا أَوْ أَرْبَعًا أَوْ خَمْسًا فَذَلِكَ قَوْلُهُ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَّا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا"⁽¹⁾.

وصبر موسى عليه السلام على الأذى، فأهلك الله فرعون وجنوده، ونجا موسى ومن معه من ظلمهم فكانت الغلبة لموسى عليه السلام.

فالرسل عليهم السلام قدوة لنا في صبرهم، فلا بد من الاقتداء بهم والصبر على الدعوة، لأن الغلبة للصابرين ولهم الجزاء الأعظم عند خالقهم يوم الدين.

⁽¹⁾ البخاري : الجامع الصحيح كتاب الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام. الحديث (3223). (12493).

المبحث الرابع: الإنذار في دعوة عيسى عليه السلام

لقد اصطفى الله سبحانه وتعالى عيسى بن مريم وجعله رسولاً من رسله، ووجيهاً في الدنيا والآخرة قال تعالى: (وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ)⁽¹⁾ "أي: له الواجهة العظيمة في الدنيا إذ جعله الله أحد أولي العزم من المرسلين أصحاب الشرائع الكبار والأتباع ونشر الله له من الذكر ما ملأ ما بين المشرق والمغرب وفي الآخرة وجيهاً عند الله يشفع أسوة بإخوانه من النبيين والمرسلين ويظهر فضله على أكثر العالمين فلهذا كان من المقربين إلى الله." ⁽²⁾.

ولقد بعث الله سبحانه وتعالى عيسى عليه السلام إلى بني إسرائيل بشيراً ونذيراً وأيده بالمعجزات الدالة على صدقه قال تعالى عن عيسى عليه السلام: (وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُم إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ)⁽³⁾.

قال الإمام الطبري في معنى الآية الكريمة: "وقوله أني قد جئتكم بآية من ربكم بمعنى ونجعله رسولا إلى بني إسرائيل بأنه نبي وبشير ونذير وحجتي على صدقي على ذلك أني قد جئتكم بآية من ربكم يعني بعلامة من ربكم تحقق قولي وتصدق خبري أني رسول من ربكم إليكم"⁽⁴⁾.

فالله سبحانه وتعالى أعطى عيسى عليه السلام من المعجزات الموجبة للإيمان به فأعطاه الله القدرة على الخلق فخلق طيراً له روح يطير بإذن الله ويبرئ من عجز الأطباء عن معالجته فأبرأ الأبرص وأعطاه سبحانه القدرة على إحياء الموتى والإخبار بأمور الغيب وكل هذه المعجزات توجب الإيمان به عليه السلام والتصديق بما جاء به .

⁽¹⁾ سورة آل عمران:45.

⁽²⁾ السعدي: تيسير الكريم الرحمن (1\131).

⁽³⁾ سورة آل عمران:49.

⁽⁴⁾ انظر: الطبري: جامع البيان (3\275).

وقد دعا عيسى عليه السلام بني إسرائيل إلى عبادة الله وأنذرهم عقابه فاختلّفوا فيه قال تعالى: (وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ) (1).

قال الإمام الرازي عند تفسيره للآية الكريمة "اعلم أنه تعالى ذكر أنه لما جاء عيسى بالمعجزات وبالشرائع البينات الواضحات (قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ) وهي معرفة ذات الله وصفاته وأفعاله (وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ) يعني أن قوم موسى كانوا قد اختلفوا في أشياء من أحكام التكاليف، واتفقوا على أشياء فجاء عيسى ليبيّن لهم الحق في تلك المسائل الخلافية وبالجملة فالحكمة معناها أصول الدين (لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ) معناه فروع الدين فإن قيل لم لم يبين لهم كل الذي يختلفون فيه؟ قلنا لأن الناس قد يختلفون في أشياء لا حاجة بهم إلى معرفتها فلا يجب على الرسول بيانها ولما بين الأصول والفروع قال (فَاتَّقُوا اللَّهَ) في الكفر به والإعراض عن دينه (وَأَطِيعُوا) فيما أبلغه إليكم من التكاليف" (2).

وقد أنذر الله سبحانه وتعالى الذين اختلفوا من بعد عيسى وكفروا بالله قال تعالى: (فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمِ أَلِيمٍ * هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) (3).

فعيسى عليه السلام أنذر بني إسرائيل ودعاهم إلى الله عز وجل فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولما هموا بقتله وصلبه رفعه الله عز وجل ثم ينزله الله تعالى قبل قيام الساعة فيكسر الصليب ويقتل الخنزير قال -صلى الله عليه وسلم- (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ وَيَفِيضَ الْمَالَ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ) (4).

(1) سورة الزخرف: 63-64.

(2) الرازي: التفسير الكبير (191\27).

(3) سورة الزخرف: 65-66.

(4) البخاري: الجامع الصحيح، كتاب المظالم، باب كسر الصليب وقتل الخنزير. الحديث (2\875).

وفي هذا إنذار للنصارى، ومن جعلوا الصليب شعاراً لدينهم وعقيدتهم، قال ابن حجر رحمه الله: "قوله فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير أي: يبطل دين النصرانية بأن يكسر الصليب حقيقة، ويبطل ما تزعمه النصارى من تعظيمه"⁽¹⁾.

وعيسى عليه السلام ينزل في آخر الزمان ويتعاون مع المهدي ويقتل المسيح الدجال عند باب لد في فلسطين، فيما أخرجه مسلم في صحيحه حيث قال صلى الله عليه وسلم "فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ بْنَ مَرْيَمَ فَيُنزَلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ وَأَضَعَا كَفِيَّهُ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ إِذَا طَاطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جَمَانٌ كَاللُّوْلُؤِ فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفْسِهِ إِلَّا مَاتَ وَنَفْسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يَدْرِكَهُ بَبَابٍ لُدٍّ فَيَقْتُلُهُ ثُمَّ يَأْتِي عَيْسَى بْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى عَيْسَى إِنْ قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي لَأَ يَدَانَ لَأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ فَحَرَّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ"⁽²⁾.

وفي هذا الحديث بشارة لأهل فلسطين خاصة وللمسلمين عامة أن هذه البلاد المقدسة لن يُعمر فيها ظالم، فمهما طغى أحفاد القرودة والخنازير، وعاثوا في الأرض، فلا بد من أن يأتي يوم، وتتحرر هذه البلاد من رجسهم، ويعود المسجد الأقصى عزيزاً تحت حكم الخلافة الراشدة التي بشر بها النبي -صلى الله عليه وسلم-.

فالمسيح الدجال شر فتنة يبنتلي الله بها العباد، فلا ينجو منها إلا من كان راسخ الإيمان، عاملاً بسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم.

⁽¹⁾ ابن حجر، احمد بن علي: فتح الباري شرح صحيح البخاري. 13 مج. بدون ط. تحقيق: محب الدين الخطيب. بيروت: دار المعرفة. (491\6).

⁽²⁾ مسلم: صحيح مسلم، باب ذِكْرِ الدَّجَالِ وصفته وما معه، الحديث (2937). (2253\4). وانظر: ابن حنبل: المسند. الحديث (15505). (420\3).

المبحث الخامس: الإنذار في دعوة محمد صلى الله عليه وسلم.

لقد أرسل الله سبحانه وتعالى رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم للناس كافة وجعله شاهداً عليهم ومبشراً من آمن بنعيم مقيم ومنذراً من كفر بعذاب الجحيم فكانت مهمته صلى الله عليه وسلم - التبشير والإنذار .

وقد كان إنذار النبي صلى الله عليه وسلم على نوعين، منه ما هو خاص ومنه ما هو عام.

النوع الأول: الإنذار الخاص.

فالرسول صلى الله عليه وسلم بُعث في مكة فأول من أُمر بإنذارهم هم أهل مكة قال تعالى: (لَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ)⁽¹⁾.

وقوله تعالى (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا)⁽²⁾، قال الإمام الطبري عند تفسيره للآية الكريمة "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ قل يا محمد لمشركي قومك إنما أنا منذر لكم يا معشر قريش بين يدي عذاب شديد أنذركم عذاب الله وسخطه أن يحل بكم على كفركم به فاحذروه وبادروا حلوله بكم بالتوبة"⁽³⁾.

قال الإمام الطبري عند تفسيره للآية الكريمة "وقوله لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك يقول تعالى ذكره: ولكن أرسلناك بهذا الكتاب وهذا الدين؛ لتنذر قوماً لم يأتهم من قبلك نذير وهم العرب الذين بعث إليهم رسول الله ﷺ بعثه الله إليهم رحمة لينذرهم بأسه على عبادتهم الأصنام وإشراكهم به الأوثان والأنداد"⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ سورة القصص: 46.

⁽²⁾ سورة الأعراف: 158.

⁽³⁾ سورة الطبري: جامع البيان (182\23).

⁽⁴⁾ الطبري: جامع البيان (82\20).

وقال تعالى في سورة المدثر: (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ)⁽¹⁾، واقتصار الأمر بالإنذار دون التبشير لما كان عليه حالهم من الكفر والشرك وعبادة الأصنام وتكذيبهم للرسول صلى الله عليه وسلم - قال الإمام ابن عاشور "وإنما كان تكذيبهم بعد أن أبلغهم أنه رسول من الله إليهم، وابتدئ بالأمر بالإنذار؛ لأن الإنذار يجمع معاني التحذير من فعل شيء لا يليق وعواقبه، فالإنذار حقيق بالتقديم قبل الأمر بمحامد الفعال؛ لأن التخلية مقدمة على التحلية ودرء المفسد مقدم على جلب المصالح ولأن غالب أحوال الناس يومئذ محتاجة إلى الإنذار والتحذير"⁽²⁾.

فالتبشير والإنذار مهمة المصطفى ﷺ أما الهداية فهي بيد الله وحده قال تعالى (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ)⁽³⁾ وهذه الآية تسلية لرسول الله ﷺ وتسرية عنه لأنه كان يغمم ويضيق صدره لإصرارهم وتصميمهم على الكفر، فالله سبحانه يقول لنبيه -عليه الصلاة والسلام -بعثناك لتبشر وتندر لا لتجبر الناس على الإيمان⁽⁴⁾.

والشواهد على إنذار النبي صلى الله عليه وسلم -لقريش وساداتها كثيرة مبنوثة في كتب السير وكتب متون الحديث فلقد كان النبي صلى الله عليه وسلم ينذر قريشاً فرادى وجماعات "عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما نزلت وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الصَّخَاةِ، فَجَعَلَ ينادي يا بني فهِر يا بني عدي لبطن قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو فجاء أبو لهب وقريش فقال: أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي، قالوا: نعم ما جربنا عليك إلا صدقاً قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تبأ لك سائر اليوم ألهذا جمعنا فنزلت تبأ يدا أبي لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب"⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ سورة المدثر: 1-2.

⁽²⁾ ابن عاشور: التحرير والتنوير (29\295).

⁽³⁾ سورة البقرة: 119.

⁽⁴⁾ انظر: الزخشي: الكشاف (1\208).

⁽⁵⁾ البخاري: الجامع الصحيح كتاب التفسير، باب وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ، الحديث (4492). (17874).

النوع الثاني: الإنذار العام

ومثلما أمر النبي ﷺ بإنذار الخاصة كذلك أمر بإنذار العامة فكانت رسالته عامة إلى جميع

الخلق وإلى الناس أجمعين والأدلة على عموم رسالته من القرآن الكريم كثيرة، منها:

قوله تعالى: (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا) (1) وقال تعالى على لسان نبيه محمد ﷺ (وَأَوْحِي إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ) (2) " وصرح في

هذه الآية الكريمة بأنه ﷺ منذر لكل من بلغه هذا القرآن العظيم كائنًا من كان ويفهم من الآية أن الإنذار به عام لكل من بلغه وأن كل من بلغه ولم يؤمن به فهو في النار" (3).

وانطلاقاً من عموم دعوته للناس كافة، وتبليغهم وإنذارهم، فقد أرسل الرسول ﷺ رسائل وكتباً إلى الملوك والأمراء يدعوهم فيها إلى الإسلام وينذرهم بالمهانة في الدنيا والعذاب الأليم في الآخرة إن هم تولوا وناصبوا الدعوة الجديدة العداء ومن هذه الكتب كتاب النبي - صلى الله عليه وسلم - لهرقل ملك الروم قال فيه (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى أَمَا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ أَسْلِمَ تَسَلَّمَ وَأَسْلِمَ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ وَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنِ عَلَيْكَ إِثْمُ الْأَرِيسِيِّينَ) (4) قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) (5).

(1) سورة الفرقان: 1.

(2) سورة الأنعام: 19.

(3) الشنقيطي: أضواء البيان (1/475).

(4) قال النووي: واختلفوا في المراد بهم على أقوال أصحابها وأشهرها أنهم الأكارون أي الفلاحون والزرارعون ومعناه أن عليك إثم رعاياك الذين يتبعونك وينقادون بانقيادك ونبه بهؤلاء على جميع الرعايا لأنهم الأغلب ولأنهم أسرع انقيادا فإذا أسلم أسلموا وإذا امتنع امتنعوا وهذا القول هو الصحيح. النووي: شرح صحيح مسلم (109\12).

(5) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلى هِرَقْلَ يَدْعُوهُ إِلَى الْإِسْلَامِ الْحَدِيث (1773). (13963).

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه (أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ كَتَبَ إِلَى كِسْرَى وَإِلَى قَيْصَرَ وَإِلَى النَّجَاشِيِّ وَإِلَى كُلِّ جَبَّارٍ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَلَيْسَ بِالنَّجَاشِيِّ الَّذِي صَلَّى عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ)(1).

لقد قام عليه الصلاة والسلام طيلة عمره داعياً إلى الله منذراً للناس من عقاب الله وسخطه وأوذي من أجل ذلك وصبر على دعوته فبلَّغ -صلى الله عليه وسلم- دعوة ربه وأتم ما عليه من التبشير والإنذار وبما كُلف به من ربه فعاش صلى الله عليه وسلم من أجل هذا الدين العظيم ومن أجل أمته فانتشر الإسلام ودخل الناس فيه أفواجاً.

ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- خاتم المرسلين والأنبياء، الذي ختم الله سبحانه وتعالى به الرسالات السماوية لتكون رسالته خالدة إلى يوم القيامة، فانقطع الوحي من السماء بموته صلى الله عليه وسلم لأن الدين قد اكتمل وتمت شرائعه .

كما أن الله سبحانه وتعالى شرف هذه الأمة وكلفها بما كُلف به الأنبياء من الدعوة إلى الله والتبشير والإنذار قال تعالى: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)(2).

فالواجب على كل مسلم أن يبذل وسعه في الدعوة إلى الله وتبشير الناس وإنذارهم فالتبشير والإنذار من أشرف الأعمال وأعزها وأرفعها وساماً كيف لا وهي المهمة التي بُعث النبيون من أجلها.

(1) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب كُتِبَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى مُلُوكِ الْكُفَّارِ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الحديث (1774). (1397/3).

(2) سورة آل عمران: 110.

الفصل السابع
صفات المُنذِرِين

إن الإنذار من أشرف المهام التي كلف الله بها رسله عليهم السلام، لأن الإنذار فيه دعوة لله وفيه بذل الجهد، لذلك كان لابد من توفر شروط في المُنذِرِين وصفات يتميزون بها عن غيرهم، ومن هذه الصفات:

المبحث الأول: العلم

إن العلم هو أساس الإنذار والتبليغ، فلا يعقل ولا يتصور أن يكون هناك شخص يأمر الناس وينهاهم وينذرهم ويبشرهم من غير علم من الله، وليس المقصود بالعلم هاهنا، العلم بالأوامر والنواهي، وإنما العلم بأساليب الدعوة إلى الله، لأن الإنذار هو ركن من أركان الدعوة إلى الله، فلا بد للمُنذِر أن يكون عالماً بأساليب مخاطبة العامة، فالناس منهم المتعلم ومنهم الجاهل، ومنهم الكبير ومنهم الصغير، فدراية المُنذِرِ بأفهام الناس وطرق مخاطبتهم أساس لا يمكن الغفلة عنه.

فالناس كالمعادن يختلفون بألوانهم وأطباعهم، فمنهم من يستجيب بأسلوب حسن، ومنهم من لا ينفعه إلا التهديد والتغليظ.

قال صلى الله عليه وسلم: (مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتْ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلَّا وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَّا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تَنْبِتُ كَلًّا فَذَلِكَ مَثَلٌ مَنْ فَقَهُ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ وَمَثَلٌ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ)⁽¹⁾.

فلا بد للدعاة اليوم، أن يتسلحوا بالعلم ليُعلموا الناس بدين الله ويبشروهم بجنته، وينذرونهم من عقابه وسخطه.

فالملاحظ اليوم وللأسف أن من الدعاة من لهم جهد يشكر، لكنهم وللأسف يتصدرون المنابر ويعظون الناس بغير علم بالعلم الشرعي، فيرون الأحاديث الضعيفة بل والموضوعة، ويقصون القصص الخرافية التي لا أصل لها، بل ومنهم من يُحدّث الناس بالإسرائيليات الموضوعة، وما ذلك إلا عن جهل، فيخلطون على الناس، فيختلط الحديث الصحيح بالموضوع، والبعض وللأسف من يتجرأ على الفتوى فيفتي للناس بغير علم وللأسف.

⁽¹⁾ البخاري: الجامع الصحيح، باب فضل من علم وعلم الحديث (79)(421).

المبحث الثاني: الإخلاص

إن الإخلاص لله سبحانه هو أساس كل عمل، فلا يقبل عمل ولا قول ليس فيه إخلاص لله تعالى، والداعي لله تعالى لابد له من إخلاص النية لربه، فلا يغتر بالدنيا الفانية، فلا يلتفت للمنصب والجاه، ولا يغيره المال، ولا ينشغل بمدح الناس وثناءهم، فيكون همه تبليغ دين الله، وكل مبتغاه نيل رضا الله .

قال تعالى مخاطباً نبيه عليه الصلاة والسلام: (قُلْ إِنْ صَلَّاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)(1).

فالمسلم يجعل كل حياته، وعبادته من أجل الله سبحانه وتعالى وحده، لأن الله لا يقبل من العبد من العمل إلا ما كان خالصاً له دون سواه.

قال تعالى: (لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا)(2).

"عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ"(3).

فالإخلاص لا يجتمع مع حب المدح والثناء والرياسة والسمعة، وإنما الإخلاص فيه تجرد لله سبحانه، فعلى الداعي المُنذر أن يربي نفسه على الإخلاص في أقواله وأفعاله، وأي عمل أشق من القتال وخوض غمار المعارك، فالمقاتل الذي يضحى بحياته ويقا تل ويعرض نفسه للرماح والسيوف لا يقبل الله منه إلا إذا كان قتاله من أجل الله، فكيف بالمُنذر "عن أبي موسى رضي

(1) سورة الأنعام: 162.

(2) سورة النساء: 114.

(3) مسلم صحيح مسلم، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله الحديث (2564). (1987/4)

الله عنه قال جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال الرجلُ يُقاتلُ للمَغْنَمِ وَالرَّجُلُ يُقاتلُ لِلذِّكْرِ وَالرَّجُلُ يُقاتلُ لِيُرَى مَكَانَهُ فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ مَنْ قَاتَلَ لِنُكُونِ كَلِمَةً لِلَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ⁽¹⁾.

وإتباع الهوى صفة مناقضة لحقيقة الإخلاص لله، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " فإن أصل الهوى محبة النفس، ويتبع ذلك بغضها ونفس الهوى - وهو الحب والبغض الذي في النفس لا يلام عليه، فإن ذلك قد لا يملك وإنما يلام على إتباعه... وإتباع الأهواء في الديانات أعظم من إتباع الأهواء في الشهوات... ولهذا كان من خرج عن موجب الكتاب والسنة من العلماء والعباد يجعل من أهل الأهواء كما كان السلف يسمونهم أهل الأهواء وذلك أن كل من لم يتبع العلم فقد اتبع هواه والعلم بالدين لا يكون إلا بهدي الله الذي بعث به رسوله"⁽²⁾.

⁽¹⁾ البخاري: **الجامع الصحيح** باب من قاتل لِنُكُونِ كَلِمَةً لِلَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، الحديث (2655). (3\1034).

⁽²⁾ ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم: **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر** 1 مج. ط1. المملكة العربية السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد. 1418هـ. (8\1-9-11).

المبحث الثالث: الصبر

لقد حث الله سبحانه عباده على الصبر، ورغبهم به، فقال سبحانه: (وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ)⁽¹⁾.

ومن الصبر؛ الصبر على الطاعات، والصبر على المعاصي، والصبر على الابتلاء .

فالمسلم مطالب بالتحلي بالصبر في كل هذه الأنواع من الصبر، فالطاعة بحاجة إلى صبر، والدعوة إلى الله بحاجة إلى صبر وتحمل، لا سيما أن الداعي والمُنذِر عندما يدعو الناس وينذرهم ويبشرهم فهو بذلك ينذر أصنافاً من الناس يختلفون بطباعهم فمنهم من يقبل النصيحة ومنهم لا يتقبل، فيؤذي الداعي بيده أو بلسانه، لذلك وجب على الداعي أن يتحلى بالصبر، وترك المعاصي أيضاً بحاجة إلى صبر على الشهوات والأهواء، والمسلم والداعي بدعوته معرض للابتلاء من أجل التمحيص والاختبار .

فالصبر يكون تحمل الأذى، والعفو عن الناس، وكبت الغيظ.

وحقيقة الصبر أنه "خلق فاضل من أخلاق النفس يمتنع به من فعل ما لا يحسن ولا يجمل وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها وقوام أمرها"⁽²⁾.

ومن ثمار الصبر التي وردت في كتاب الله تعالى: -

أولاً: الثناء على الصابرين، قال تعالى: (وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ)⁽³⁾.

¹ سورة البقرة:45.

² ابن القيم، محمد بن أبي بكر: عدة الصابرين ونخبة الشاكرين. امج. بدون ط. تحقيق: زكريا علي يوسف. بيروت: دار الكتب العلمية (8\1).

³ سورة البقرة:177.

ثانياً: نيل محبة الله تعالى، قال تعالى: (وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ)(1).

ثالثاً: "إيجاب معيته لهم وهي معية خاصة تتضمن حفظهم ونصرهم وتأيدهم ليست معية عامة وهي معية العلم والإحاطة"(2) كقوله: (وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)(3).

رابعاً: "إيجاب الجزاء لهم بأحسن أعمالهم"(4)، قال تعالى: (وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)(5).

خامساً: "إيجابه سبحانه الجزاء لهم بغير حساب"(6)، قال تعالى: (إِنَّمَا يُوفِي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ)(7).

وثمرات الصبر كثيرة جداً، يعاينها المسلم في حياته، فالصبر نجاة للمسلم في حياته وآخرته، لذلك فحري بالدعاة اليوم التحلي بهذا الخلق العظيم، فالفتن كثيرة، والابتلاءات تترى.

واليوم وإذ يعيش المسلمون غربتهم، والدعاة والمنذرين وحشتهم في مجتمعاتهم، فما يحدث اليوم للدعاة من تعذيب وسجن وتهميش واضطهاد بحاجة إلى صبر وجلد.

¹ سورة آل عمران: 146.

² ابن القيم: مدارج السالكين (2/153).

³ سورة الأنفال: 46.

⁴ ابن القيم: مدارج السالكين (2/153).

⁵ سورة النحل: 96.

⁶ ابن القيم: مدارج السالكين (2/153).

⁷ سورة الزمر: 10.

المبحث الرابع: الرفق واللين والرحمة بالناس

من الواجب على المسلم، أن يكون قلبه مليئاً بالرفق واللين والرحمة بالناس، فالداعي رحيم بالناس، همه الوحيد إنقاذ الناس من عذاب الله، يحمل في قلبه حنان الأب وشفقة الأخ، ووفاء الصاحب، متأسيماً بسيد الخلق محمد -صلى الله عليه وسلم-.

فلقد حث الله سبحانه وتعالى عباده إلى دعوة الناس بالموعظة الحسنة، قال تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)(1).

وقد أمر الله تعالى نبيه موسى عليه السلام بالرفق واللين بدعوته لفرعون، فهذا الذي سفك الدماء وقتل الأطفال، ورمل النساء، وخوف وروّع العباد، كانت دعوته باللين، فكيف بدعوة الناس، فإن على المُنذر إذا أُنذر وخوف أن يتحلى بالرفق واللين.

فقال تعالى: (فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى)(2).

وورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يحث على الرفق ويرغب فيه، قال صلى الله عليه وسلم مخاطباً أم المؤمنين عائشة "يا عائشة! إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا نَأَى يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ وَمَا نَأَى يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ"(3).

وروى الإمام مسلم قوله صلى الله عليه وسلم "من حَرَمَ الرَّفْقَ حَرَمَ الْخَيْرَ أَوْ مَنْ يُحَرِّمُ الرَّفْقَ يُحَرِّمُ الْخَيْرَ"(4).

¹ سورة النحل: 125.

² سورة طه: 44.

³ مسلم: صحيح مسلم. بَابُ فَضْلِ الرَّفْقِ . الحديث (2593). (4\2003).

⁴ المرجع السابق . الحديث (2592)

وأخيراً أقول هذه الصفات الحميدة حث عليها الإسلام ورجب فيها وبغيرها، فالمسلم الخلق ينال محبة الله أولاً ومحبة العباد ثانياً، والداعي إلى الله أجدد أن يتصف بهذه الصفات حتى يصل إلى قلوب العباد، حتى إذا دعاهم ورجبهم ورهبهم، وبشرهم وأنذرهم سمعوا منه، وقبلوا كلامه، حتى إذا لم يقبلوا كلامه احترموه لشخصه.

فالجدير بالداعية اليوم التخلق بهذه الأخلاق والصفات حتى تصل دعوتهم إلى الناس، وبذلك يصبحون قدوة للناس في الأخلاق وحمل رسالة الأنبياء؛ ألا وهي الدعوة إلى الله.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين أما بعد:

فإن الله سبحانه وتعالى ما خلق البشر إلا لعبادته وحده لا شريك له؛ لذلك لم يتركهم عبثاً وإنما أرسل إليهم من يدعوهم إليه ويبشرهم بجنته، وينذرهم من عقابه وناره .

ومن خلال دراستي هذه كان الاهتمام بالإنذار كدراسة موضوعية، اعتمدت فيها على المنهج الاستقرائي بتتبع الآيات التي ذُكرت فيها مادة (ن ذ ر) وكانت نتائج الدراسة فيما يلي: -

1- لقد ذُكرت مادة (ن ذ ر) ومشتقاتها في القرآن الكريم اثنتا عشرة ومائة ، وكانت أكثر تلك الآيات في السور المكية .

2- ذكر الإنذار في السور المكية أكثر من السور المدنية، لأن في ذلك مناسبة لحال العرب في تلك الفترة، من عبادتهم للأوثان والأصنام.

3- اهتمام القرآن الكريم بالإنذار كان لحكمٍ عظيمة، فقد جاء لتخويف الناس وتهديدهم من عقاب الله وسخطه، وإقامة الحجة عليهم بتبليغهم دين الله، وهدايتهم وإرشادهم للطريق المستقيم.

4- بينت الدراسة أقسام المنذرة والمُنذرين في القرآن الكريم.

5- كشفت آيات الإنذار عن مواقف الأمم السابقة اتجاه النذر عليهم الصلاة والسلام على مر العصور، فلقد وقفوا للنذر بالمرصاد فأعرضوا واستكبروا، وكذبوا الرسل عليهم السلام واتهموهم بأبشع التهم وأقبحها .

6- لقد كان الإنذار ركناً من أركان دعوة المرسلين على مر العصور، وقد بينت جوانب من الإنذار في حياة أولي العزم من الرسل. وبينت الدراسة بعضاً من صفات المُنذرين.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجه الكريم، فإن كان من توفيق فمن الله سبحانه وتعالى، وإن كان من تقصير فمن نفسي ومن الشيطان.

فهرس الآيات

رقم الصفحة	السورة ورقم الآية	الآية
16	الفاحة 6-7	اهدنا الصراط المستقيم
12	البقرة 6	سواء عليهم أنذرتهم أم لم تنذرهم
99، 12	البقرة 6	سواء عليهم أنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون
79	البقرة 34	وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم
129	البقرة 24	واستعينوا بالصبر والصلاة
90	البقرة 87	ولقد آتينا موسى الكتاب وقرآنا
25	البقرة 114	ومن أظلم ممن منع مساجد الله
122	البقرة 119	إننا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا
50	البقرة 143	وكذلك جعلناكم أمة وسطا
87	البقرة 166-167	إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا
85	البقرة 170	إذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله...
129	البقرة 177	والصابرين في البأساء والضراء
46، 44	البقرة 213	كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين
113	البقرة 258	ربّي الذي يحيى ويميت
13	آل عمران 21	فبشرهم بعذاب اليم
118	آل عمران 45	وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين
118	آل عمران 49	ورسولنا إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم
124، 50	آل عمران 110	كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف
130	آل عمران 146	والله يحب الصابرين
13	آل عمران 138	بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما
63	النساء 1	يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة
63	النساء 36	واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا....
89	النساء 59	يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله
71	النساء 64	وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله...

74	النساء 79	مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ
71	النساء 116	إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ.....
127	النساء 124	لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ
111	النساء 125	اتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا
46، 44، 19	النساء 165	رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ
27	المائدة 33	إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله...
90	المائدة 70	لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ
20	المائدة 67	يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ
86	المائدة 104	وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ
94	الأنعام 8- 9	وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ
123	الأنعام 19	وَأُوْحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لَأُنذِرَكُمْ بِهِ
92	الأنعام 25	حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ
90	الأنعام 34	وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبِرُوا.....
45	الأنعام 37	وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ
47	الأنعام 48- 49	وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ
60	الأنعام 51	وَأُنذِرُ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ
112	الأنعام 74	وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ عَازِرًا
113	الأنعام 76	فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ
112	الأنعام 81	وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ
112، 70	الأنعام 82	الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ
66	الأنعام 92	وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ....
58	الأنعام 122	أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ
87	الأعراف 28	وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً
83	الأعراف 40	إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا..
88	الأعراف 64	فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ
82، 81	الأعراف 88	قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ
121، 74	الأعراف 158	قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ
57	الأعراف 188	إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ

72	التوبة 30	وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى ...
85	التوبة 113	مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا
57، 50، 112	التوبة 122	وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً
104، 12	يونس 2	أَنْ أَنْذِرَ النَّاسَ
116	يونس 79	قَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ
75	هود 17	وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ
108	هود 25	وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ
80	هود 27	فَقَالَ الْمَأْمُورِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ...
109	هود 38-39	وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ
103	هود 54	إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ
84	هود 109	فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ
105	يوسف 21	وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ
95	يوسف 105	وَكَايِنُ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
93	إبراهيم 10	قَالَتْ رَسُولُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ
19	الحجر 89	وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ
17	النحل 2	يُنزِلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ
63	الإسراء 26	وَأَتَا ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ
22	الإسراء 41	وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ
93	الإسراء 49-52	وَقَالُوا أَعَدَّا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا
73	الكهف 2	قِيَمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا
73	الكهف 4-5	وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا
47، 45، 22	الكهف 56	وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ
32، 31	مريم 39	وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ
112، 111، 88	مريم 41-45	وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ
72	مريم 88-95	وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا
68	مريم 97	فَإِنَّمَا يَسْتَرْثَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ

23	طه 3	إِلَّا تَذَكَّرَ لَمَنْ يَخْشَى
115	طه 42-48	أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ
15	طه 50	قال ربنا الذي أعطى كل شيء
116	طه 61	قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيَلْكُمْ ...
104	طه 71	قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ
23	طه 113	وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا قُرْآنًا عَرَبِيًّا
97	طه 124	فَأِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى
96	الأنبياء 1	اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ
113	الأنبياء 58	فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ
16	الأنبياء 73	وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا
33	الحج 1-2	يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ..
13	الحج 29	وليفوا نذورهم
103	المؤمنون 25	إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ
88	المؤمنون 44	ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى
96	المؤمنون 71	أَنْبِيَانَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ
123، 76	الفرقان 1	تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ ...
104	الفرقان 8	وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ....
104	الشعراء 34	قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ
89	الشعراء 105	كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ
20	الشعراء 208-209	وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ
64	الشعراء 214	وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ
8	النمل 14	وَجَدُّوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا
84	النمل 43	وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ ...
22، 43، 67، 121	القصص 46	وما كنت بجانب الطور
85	القصص 56	إِنَّكَ لَأَنْتَ الَّذِي تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ
108	العنكبوت 14	ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه
81	العنكبوت 39	وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ
61	العنكبوت 45	اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ ...

83	لقمان 7	وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَوَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا ...
70	لقمان 13	يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشُّرْكَ لَظُلْمٌ ...
86	لقمان 21	وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ
67	السجدة 3	أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ...
96	السجدة 22	وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ
68	السجدة 46	لَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ
107	الأحزاب 7	وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ
21	الأحزاب 39	الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ
75	سبأ 28	وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ ...
82	سبأ 34-35	وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا
84	سبأ 43	وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ ...
61، 59	فاطر 18	إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ ...
58	فاطر 22	وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَالْمَيِّتَاتُ
67، 43	فاطر 24	إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا
13	فاطر 37	وجاءكم النذير ...
62	يس 10-11	وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ ...
34	يس 65	اليوم نختم على أفواههم
58، 49	يس 70	لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا
47، 46	الصافات 72	وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنذِرِينَ
62	ص 1	ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ
82	الزمر 72	قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ
91	غافر 5	كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ
32	غافر 18	وأنذرهم يوم الآزفة
104	غافر 23-24	وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا ...
82	غافر 35	الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ ...
29	غافر 45-46	فَوْقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا
48	فصلت 3-4	كِتَابٌ فَصَّلَتْ آيَاتُهُ ...
100	فصلت 5	وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا

97	فصلت 13	فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً
16	فصلت 17	وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا... .
81، 34	فصلت 20- 21	حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ... .
107	الشورى 13	شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ ...
16	الشورى 52	وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
111	الزخرف 63	وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ
119	الزخرف 64	إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ
119	الزخرف 65- 66	فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ
41	الدخان 3- 4	إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ
95	الاحقاف 3	وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ
70	الاحقاف 12	هَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا
76، 25، 54، 52	الاحقاف 29- 32	وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ
107	الاحقاف 35	فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ... .
16	محمد 17	والذين اهتدوا زادهم هدى
59	ق 32- 33	هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِكُلِّ أُوَّابٍ حَفِيظٍ
23	ق 45	نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ...
17، 8	الذاريات 50- 51	ففرؤا إلى الله إني لكم
102	الذاريات 52	كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
102	الذاريات 53	أَتَوَّصُوا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ
52	الذاريات 56	وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ
111	النجم 37	وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى
12	النجم 56	هذا نذير من النذر الأولى
48	القمر 17	وَلَقَدْ بَيَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ
12	القمر 23	كذبت ثمود بالنذر
65، 35	التحريم 6	يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم ...
59	الملك 12	إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ.....
108	نوح 1- 4	إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ... .
110، 80	نوح 5- 9	قال رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا

109	نوح 26	قَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ
53	الجن 1	قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ
96	الجن 17	وَمَنْ يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا
122	المدثر 1-2	يا أيها المدثر
95	المدثر 49	فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ
89	المرسلات 15	وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ
40	النبأ 40	إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا ..
24	الفجر 6-14	أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ
15	البلد 10	وهديناه النجدين
24	الاعلى 8-11	فَذَكَّرْنَا بِإِنْ نَفَعَتِ الذُّكْرَى
24، 39، 35	الليل 14	فَأَنْذَرْنَاكُمْ نَارًا تَلْقَى

فهرس الأحاديث والآثار

الرقم	الحديث	الصفحة
1	إذا خطب احمرَّت عيناه	9
2	إن القوم نذروا بي	10
3	وأعوذ بك من عذاب القبر	29
4	استعبدوا بالله من عذاب القبر ...	29
5	"... وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعِ مِنَ الدُّنْيَا	30
6	يُوتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ	32
7	أَتَذُرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا.....	33
8	ألا تسألوني من أي شيء ضحكت..	34
9	أُنذِرْكُمْ النَّارَ أُنذِرْكُمْ النَّارَ.....	36
10	لو تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ...	36
11	اللهم رَبَّنَا اتنا في الدُّنْيَا حَسَنَةً...	36
12	نَارِكُمْ هذه التي يُوقدُ بن آدم...	37
13	إذا اشتدَّ الحرُّ فأبردوا بالصَّلَاةِ...	37
14	ليس أحدٌ أحبَّ إليه المدحُ من الله عز وجل ﷺ	43
15	ما قرأ رسول الله ﷺ على الجنِّ وما رآهم ...	52
16	من سرَّه أن يبسطَ عليه رزقه ...	63
17	لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ رَحِمٍ	63
18	يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ	64
19	والله إنك لخَيْرُ أَرْضِ اللهِ ...	67
20	أبغض الرجال إلى الله تعالى الألد الخضم	69
21	لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ...	70
22	يا عبادي إني حرمتُ الظلمَ على نفسي ...	71
23	"فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتِّ أُعْطِيتُ	75
24	أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ كَتَبَ إِلَى كِسْرَى وَإِلَى قَيْصَرَ..	75
25	كنا مع رسول الله ﷺ ذاتَ لَيْلَةٍ فَفَقَدْنَاهُ فَالْتَمَسْنَاهُ.....	76

79	لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ...	26
83	قال الله عز وجل: الْكِبْرِيَاءُ رُدِّي...	27
85	لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ...	28
114	قَسَمَ النَّبِيُّ ﷺ قَسَمًا فَقَالَ رَجُلٌ إِنَّ هَذِهِ لَقَسِمَةٌ...	29
117	لَمَّا نَزَلَتْ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ...	30

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

- 1 - ابن الأثير، علي بن محمد الجزري: أسد الغابة في معرفة الصحابة. 7مج. ط1. تحقيق: عادل احمد الرفاعي. بيروت: دار إحياء التراث العربي 1417 هـ .
- 2 - ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري: جامع الأصول في أحاديث الرسول. 12مج. عبد القادر الأرئووط. ط1. مكتبة الحلواني، مطبعة الملاح، مكتبة دار الايمان 1392 هـ .
- 3 - الأندروي، أحمد بن محمد: طبقات المفسرين. مج1. تحقيق سليمان بن محمد الخزي. ط1. المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم 1997م.
- 4 - الالباني، محمد ناصر الدين: السلسلة الصحيحة. (7مج). بدون ط. الرياض: مكتبة المعارف.
- 5 - الألوسي شهاب الدين السيد محمود: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. مج30. بدون ط. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- 6 - البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي: الجامع الصحيح المختصر (صحيح البخاري). 6مج. تحقيق د.بيروت: تيب البغا. ط3. بيروت: دار ابن كثير، اليمامة 1407 هـ .
- 7 - البغوي الحسين بن مسعود: معالم التنزيل. 8مج. ط4. حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله والنمر وآخرون. الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع 1417 هـ.
- 8 - البقاعي، إبراهيم بن عمر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. 8مج. تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي. بدون ط. بيروت: دار الكتب العلمية 1415 هـ .
- 9 - البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي). 5مج. بدون ط. بيروت: دار الفكر .

- 10 - البيهقي، أحمد بن الحسين: دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة. 7مج. تحقيق: عبد المعطي قلنجي. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث 1408هـ .
- 11 - الترمذي محمد بن عيسى: الجامع الصحيح (سنن الترمذي). 5مج. تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون. بدون ط. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- 12 - ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم: النبوات. 1مج. بدون ط. القاهرة: المطبعة السلفية 1386هـ .
- 13 - الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم: دار إحياء التراث العربي. 10 مج. تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور. بيروت: توت: دار إحياء التراث العربي 1422هـ .
- 14 - الجزائري جابر بن موسى أبو بكر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير. 5مج. ط5. المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم 1424هـ.
- 15 - ابن جزري، محمد بن أحمد: التسهيل لعلوم التنزيل. 4مج. ط4. بيروت: دار الكتاب العربي 1403هـ.
- 16 - جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. 20مج. ط4. بيروت: دار الساقى 1422هـ.
- 17 - ابن الجوزي عبد الرحمن بن علي بن محمد: زاد المسير في علم التفسير. (9مج). بيروت: المكتب الإسلامي 1404هـ .
- 18 - الحاكم ، محمد بن عبدالله : المستدرک علی الصحیحین. 4مج. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية 1411هـ.
- 19 - ابن حبان محمد بن حبان بن أحمد: صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان. 16مج. تحقيق شعيب الأرنؤوط . ط2. بيروت: مؤسسة الرسالة 1414هـ .

- 20 - ابن حجر، أحمد بن علي: الإصابة في تمييز الصحابة. 8مج. تحقيق علي محمد البجاوي. ط1. بيروت: دار الجيل 1412هـ .
- 21 - ابن حجر، أحمد بن علي: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة. 6مج. تحقيق: محمد عبد المعيد ضان. الهند: د: مجلس دائرة المعارف العثمانية.
- 22 - ابن حجر، أحمد بن علي: فتح الباري شرح صحيح البخاري. 13مج. بدون ط. تحقيق: محب الدين الخطيب. بيروت: دار المعرفة.
- 23 - ابن حنبل، أحمد بن محمد: مسند الإمام أحمد بن حنبل. 50 جزء. ط2. تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون. بيروت: مؤسسة الرسالة 1420هـ.
- 24 - أبي حيان، محمد بن يوسف: البحر المحيط. 8مج. تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية 1422 هـ.
- 25 - الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم: لباب التأويل في معاني التنزيل. 7مج. بدون ط. بيروت: دار الفكر 1399هـ .
- 26 - الخزرجي موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم: عيون الأنباء في طبقات الأطباء. 1مج. بدون ط. تحقيق: الدكتور نزار رضا. بيروت: دار مكتبة الحياة.
- 27 - ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد: وفيات الأعيان وأنباء أهل الزمان. 7مج. تحقيق إحسان عباس. بيروت: دار صادر.
- بيروت: أمغاني، حسين بن محمد بن إبراهيم: قاموس القران أو إصلاح الوجوه والنظائر. 1مج. تحقيق عبد العزيز سيد الأهل. بيروت: ت: دار العلم للملايين 1980م.
- 29 - أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني: سنن أبي داود. 4مج. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. بدون ط. دار الفكر.

- 30 - الذهبي، شمس الدين محمد: **تذكرة الحفاظ**.4 مج. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.
- 31 - الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر: **مختار الصحاح**.(مج1). تحقيق محمود خاطر. ط جديدة. بيروت: مكتبة لبنان ناشرون1415 هـ .
- 32 - الرازي،فخر الدين محمد بن عمر: **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب**.32مج . بيروت : دار الكتب العلمية 1421هـ.(64\27).
- 33 - الراغب الأصفهاني،الحسين بن محمد :**المفردات في غريب القرآن** .1مج. تحقيق محمد سيد كيلاني . لبنان: دار المعرفة.
- 34 -ابن رجب الحنبلي، عبد الرحمن بن أحمد: **التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار**. مج1.ط1.دمشق: مكتبة دار البيان 1421 هـ .
- 35 - الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل: **معاني القرآن وإعرابه** .5 أجزاء. ط1. بيروت:عالم الكتاب 1408 هـ .
- 36 - الزركلي، خير الدين: **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**.8مج. ط17. بيروت:دار العلم للملايين2007م .
- 37 - ابن زكريا ،أحمد بن فارس: **معجم مقاييس اللغة**.6مج . تحقيق عبد السلام محمد هارون. ط2 . بيروت: دار الجيل.1420هـ .
- 38 - الزمخشري، محمود بن عمر: **أساس البلاغة**. مج1. دار الفكر1399 هـ .
- 39 - الزمخشري محمود بن عمر: **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** . 4مج بدون ط. تحقيق:عبد الرزاق المهدي. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

- 40 - الزمخشري ،محمود بن عمرو: **المستقصى في أمثال العرب**. 2مج. ط2. بيروت: دار الكتب العلمية 1987م.
- 41 - السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن : **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**. 12مج. بدون ط. بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة.
- 42 - السعدي، عبدالرحمن بن ناصر : **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**. 1مج. تحقيق ابن عثيمين. بدون ط. بيروت: مؤسسة الرسالة 1421هـ - 2000م.
- 43 - أبو السعود، محمد بن محمد العمادي: **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**. 9مج. بدون ط. بيروت : دار إحياء التراث العربي.
- 44 - السمرقندي، نصر بن محمد بن أحمد : **بحر العلوم**. 3مج. بدون ط . تحقيق : د.محمود مطرجي. بيروت : دار الفكر .
- 45 - السمعاني منصور بن محمد بن عبد الجبار: **تفسير القرآن**. 6مج. ط 1. تحقيق : ياسر بن إبراهيم، وآخرون. الرياض: الرياض 1418هـ.
- 46 - الشربيني، محمد بن أحمد: **السراج المنير**. 4مج. بدون ط. بيروت: دار الكتب العلمية.
- 47 - الشوكاني، محمد بن علي بن محمد: **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**. (5مج). بيروت: دار الفكر.
- 48 - الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار : **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**. 9مج. تحقيق: مكتب البحوث والدراسات. بدون ط. بيروت : دار الفكر للطباعة والنشر 1415 هـ .
- 49 - الصنعاني عبد الرزاق بن همام : **تفسير القرآن** (3مج). ط1. تحقيق : د. مصطفى مسلم محمد. الرياض: مكتبة الرشد 1410 هـ .

50 - الطبري، محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل آي القرآن. 30مج. بيروت: دار الفكر 1405هـ .

51 - ابن عادل عمر بن علي: اللباب في علوم الكتاب. 20مج. تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية 1419هـ .

52 - ابن عاشور محمد بن الطاهر: التحرير والتنوير. 30مج. بدون ط. تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع 1997م .

53 - ابن عبد البر يوسف بن عبد الله بن محمد: الاستيعاب في معرفة الأصحاب. 4مج. ط1. تحقيق: علي محمد البجاوي. بيروت: دار الجيل 1412هـ .

54 - ابن عطية، محمد بن عبد الحق بن غالب: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. 5مج. تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية 1413هـ.

55 - ابن عجيبة أحمد بن محمد بن المهدي: البحر المديد. 8مج. ط2. بيروت: دار الكتب العلمية 1423هـ.

56 - الفراهيدي الخليل بن أحمد: العين. (8مج) بدون ط. القاهرة: دار ومكتبة الهلال.

57 - الفيروز أبادي محمد بن يعقوب: البلاغة في تراجم أئمة النحو واللغة. 1مج. ط1. تحقيق محمد المصري الكويت: جمعية إحياء التراث الإسلامي 1407هـ .

58 - القرطبي، عبد الله بن احمد بن أبي بكر: الجامع لأحكام القرآن. 20مج. تحقيق: هشام سمير البخاري. الرياض: دار عالم الكتاب 1423هـ .

59 - القشيري، عبدالكريم بن هوازن: لطائف الإشارات. 3مج. تحقيق: عبداللطيف حسن عبدالرحمن. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية 1420هـ .

60 - قطب، سيد قطب بن إبراهيم: في ظلال القرآن. 6مج. ط34. دار الشروق: القاهرة 2004هـ.

61 - ابن القيم، محمد بن أبي بكر: جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام. 1مج. ط2. تحقيق: شعيب الأرنؤوط. الكويت: دار العروبة 1407هـ.

62 - ابن القيم، محمد بن أبي بكر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الدواء والدواء). بيروت: ن ط. بيروت: دار الكتب العلمية.

63 - ابن القيم، محمد بن أبي بكر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. 3مج. تحقيق: محمد حامد الفقي. ط2. بيروت: دار الكتاب العربي 1393هـ.

64 - ابن قيم، محمد بن أبي بكر: مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة. 2جزء. بدون ط. بيروت: دار الكتب العلمية.

65 - ابن كثير، إسماعيل بن عمر: تفسير القرآن العظيم. 8جزء. ط2. تحقيق: سامي بن محمد سلامة. الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع 1420هـ.

66 - الكفومي، أيوب بن موسى: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية. 1مج. تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري. بيروت: مؤسسة الرسالة 1419هـ.

67 - المارودي، علي بن محمد: النكت والعيون. 6مج. تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم. بدون ط. بيروت: دار الكتب العلمية.

68 - ابن ماجه محمد بن يزيد: سنن ابن ماجه. 2مج. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. بدون ط. بيروت: دار الفكر.

69 - مجاهد بن جبر المخزومي التابعي أبو الحجاج: تفسير مجاهد (2مج) بدون ط. تحقيق: عبدالرحمن الطاهر محمد السورتي. بيروت: المنشورات العلمية.

70 - المحبي، محمد أمين بن فضل الله بن محب الله: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر. 4مج. بيروت: دار صادر .

71 - مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري: صحيح مسلم. 4مج. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار احياء التراث العربي .

72 - المناوي، محمد بن عبد الرؤوف: التوقيف على مهمات التعاريف. 1مج. تحقيق د.محمد رضوان الداية. ط1. بيروت: دار الفكر 1410 هـ .

73 - ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب. بيروت. بيروت. دار صادر .

74 - النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود: تفسير النسفي . 4مج. بدون ط. تحقيق: مروان محمد الشعار. بيروت: دار النفائس 2005 م .

75 - النووي، يحيى بن شرف بن مري: صحيح مسلم بشرح النووي. 18مج. ط2. بيروت: دار إحياء التراث العربي 1392 هـ .

76 - الواحدي، علي بن أحمد: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. 2مج. تحقيق : صفوان عدنان داوودي. ط1. بيروت: دار القلم الدار الشامية 1415 هـ .

Najah National University
Faculty of Graduate Studies

Warning in the Quran

Prepared by
Adham Omar Abbas Kharashah

Supervised by
Dr . Khader Sawandak

This Thesis is Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Fundamentals of Islamic Law (Usol Al-Din), Faculty of Graduate Studies, An – Najah National University, Nablus - Palestine.

2012

Warning in the Quran
by
Adham Omar Abbas Kharashah
Supervised by:
Dr. Khader Sundk

Abstract

Warning: mean, reporting, news or media with intimidation, and has been mentioned by Allah in the Quran one hundred and twenty times, most of which are in Mecca; because that is suitable for the context of Arabs in that period, and their worshiping of idols.

The interest of Quran in warning came as a great wisdom, it was to intimate people and threatening them of Allah`s punishment and wrath, and to remind and wake them up from their heedlessness, and to establish a proof against them by sending them the religion of Allah, and guide them through the righteous path.

The beholder in the warning verses with reflection and meditation finds that there are five warning sources, namely: Allah Almighty, the prophets peace be upon them who sent warning to people, the Quran with what includes of the description of the punishment of Allah, believers, and finally the jinn; especially since they are charged with humans and They warning there race.

The warning verses were related to seven varieties of directions: the believers, relatives, people of Mecca, and the allocation of warning verses to the oppressors, the people of the book, all the people, and finally the jinn.

As revealed by warning verses, for the former nations attitudes toward prophets peace be upon them throughout the ages, has turned them away, scorn them, and deny the prophets, peace be upon them, and accused them of ugliest charges.

Warning was one of the pillars of the call of the prophets throughout the ages, and showed aspects of warning in the life of a prophets, and the study pointed to some recipes were warned.

This document was created with Win2PDF available at <http://www.win2pdf.com>.
The unregistered version of Win2PDF is for evaluation or non-commercial use only.
This page will not be added after purchasing Win2PDF.